خرافة داروين:

حينما تتحول الصدفة إلى علم!!

نسف نظرية داروين باستخدام الرياضيات والبرمجة

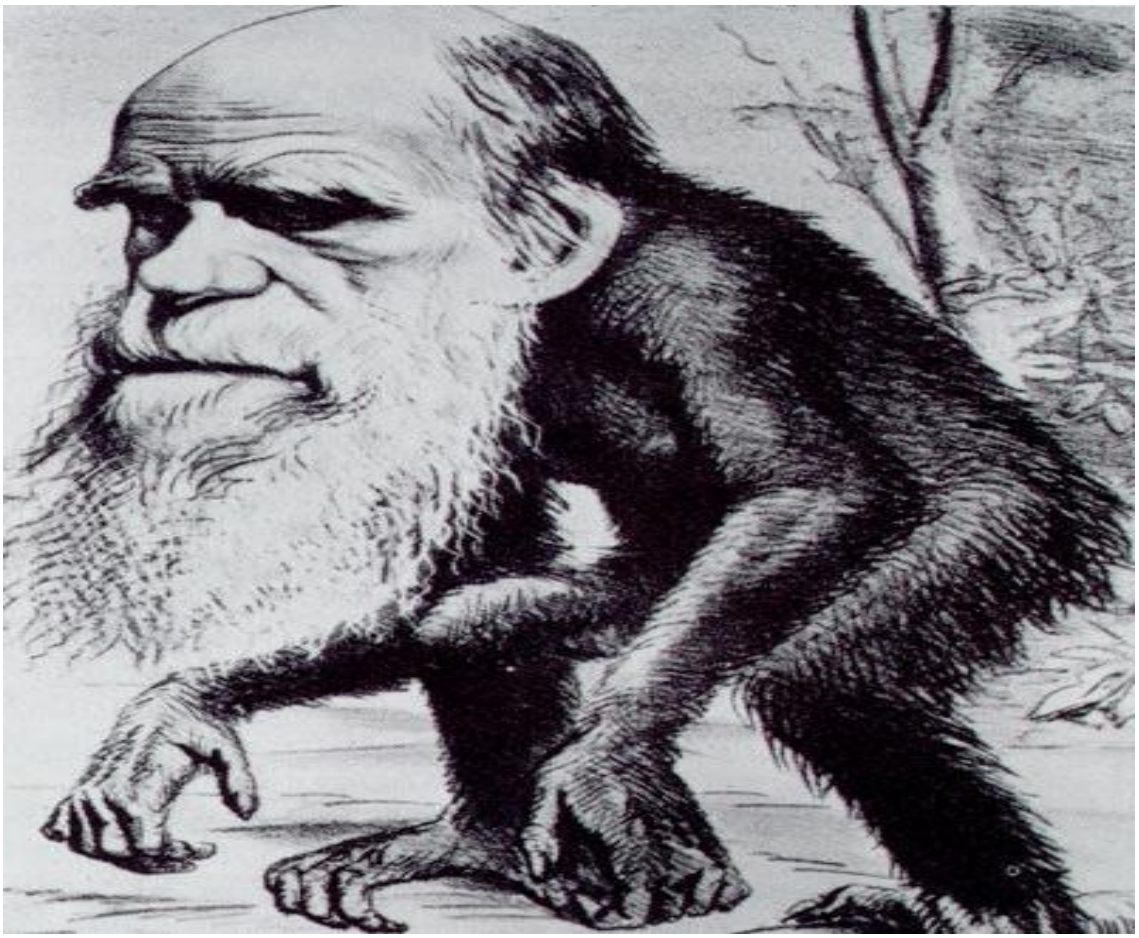

بقلم:

م. محمد حمدي غانم

حقوق الطبع والنشر الورقي والالكتروني غير محفوظة، ويمكن لمن شاء طباعة ونسخ هذا الكتاب، بشرط الإشارة إلى اسم المؤلف.

عن الكاتب

- بريدي الالكتروني:
msvbnet@hotmail.com
- مدونتي:
http://mhmdhmdy.blogspot.com
- قناتي على يوتيوب:
http://www.youtube.com/user/mhmdhmdy
- صفحتي على فيسبوك:
https://www.facebook.com/Poet.Mhmd.Hmdy
- كتبي في مجال البرمجة بلغتي فيجوال بيزيك وسي شارب:
http://mhmdhmdy.blogspot.com/2010/09/blog-post_9555.html
- صفحة فيجوال بيزيك وسي شارب:
https://www.facebook.com/vbandcsharp
- لتحميل ديوان دلال الورد:
http://www.mediafire.com/?n1qte7j9hdv1l98
- لتحميل رواية "حائرة في الحب:
http://www.mediafire.com/?hd1jy6ca4ay3m9w

المحتويات

- **تمهيد: الداروينية: من سببية العلم، إلى عشوائية الصدفة** ٦
- الداروينية القديمة، والتطور بالانتخاب الطبيعي ٧
- الداروينية الجديدة، والتطور بالطفرات ١٠

- **أبدع حاسب وأبدع نظام تشغيل** ١٢
١. الإنسان يطوّر، لكن لا يخلق ١٤
٢. لغة الكيمياء ١٩
٣. تطبيقات برمجية ونظام تشغيل ٢٣
٤. الدقّة حيث لا مجال للعبث ٢٦
٥. مصانع عالية التقنية ٢٨
٦. فبأيّ حديث بعده يؤمنون؟ ٣١
٧. وللرياضيات كلمة ٣٣
٨. برنامج لمحاكاة إلقاء العملة المعدنية ٣٩
٩. رواية الحصن الرقمى: دان براون يخدعك! ٤٨
١٠. برنامج لرسم الموناليزا بالصدفة! ٥١
١١. برنامج لتوليد الكلمات والنصوص عشوائيا ٥٨
١٢. التدخل البشري في إنتاج أول صبغ وراثي صناعي ٦٠
١٣. إنتاج البشر ٦٣
١٤. البعث والحساب علميا ٦٩
١٥. لكن لماذا يكفرون؟ ٧٢
١٦. البحث عن الضلال ٧٧

١٧. نحن نأكل البشر ٨١
١٨. من نحن؟ ٨٤
١٩. البرامج الحية ٨٧

- **الحلقات المفقودة في الداروينية الفقيدة! ٩٢**
  هيا نفند نظرية داروين في خمسة أسئلة!
١- كيف ظهرت الحلقات الوسيطة بالصدفة؟ ٩٤
٢- لماذا ما تزال الحلقات المفقودة مفقودة حتى الآن؟ ١٠٠
٣- لماذا انقرضت الحلقات الوسيطة أصلا؟ ١٠٤
٤- لماذا لا تتطور حلقات وسيطة جديدة في عالمنا اليوم؟ ١٠٧
٥- أين هي حفريات المحاولات التطورية الفاشلة؟ ١٠٨
- الخاتمة: الداروينية علم أم دين؟! ١١٣

- **ناندينو كمبورس ١١٧**

- **التصميم الذكي Intelligence Design ١٢٢**

- **مطرودون: لا يُسمح بالذكاء! ١٢٧**
  Expelled: No intelligence allowed
- المقطع الأول من الفيلم الوثائقي Expelled ١٣٠
- المقطع الثاني من الفيلم الوثائقي Expelled ١٣١
- المقطع الثالث من الفيلم الوثائقي Expelled ١٣٢
- المقطع الرابع من الفيلم الوثائقي Expelled ١٣٤

- المقطع الخامس من الفيلم الوثائقي Expelled ١٣٨
- المقطع السادس من الفيلم الوثائقي Expelled ١٤٤
- المقطع السابع من الفيلم الوثائقي Expelled ١٤٧
- المقطع الثامن من الفيلم الوثائقي Expelled ١٥٠
- المقطع التاسع من الفيلم الوثائقي Expelled ١٥٤
- المقطع العاشر من الفيلم الوثائقي Expelled ١٦٠

تمهيد:

الداروينية: من سببية العلم، إلى عشوائية الصدفة

الداروينية القديمة، والتطور بالانتخاب الطبيعي:

وضع داروين نظرية التطوّر منذ قرن ونصف، بناء على مفهوم الانتخاب الطبيعيّ.. فهناك مثلا دببة تقرّر أن تتحوّل إلى حيتان!.. هو يرى أنّ وجودها قرب الماء واحتياجها إلى صيد الأسماك يدفعانها إلى التكيف والتحوّر التدريجي ومن ثمّ التطوّر.. يقول دارون في كتابه أصل الأنواع:

"لا أجد أية صعوبة في أن يزداد ارتباط فصيلة من فصائل الدببة (عن طريق التنوع الطبيعي) بالماء، مع زيادة حجم أفواهها شيئاً فشيئاً، حتى يبرز في النهاية مخلوق هائل كالحوت"

وهناك ــ على حسب زعم أحد الداروينيين[1] ــ زواحف تقرر أن تُرضع صغارها، فبمجرد أن تلعق الصغار العَرَق من جسد الأم في موسم حار، تنبت لها أثداء (يا حلاوة!!):

"شرعت بعض الزواحف التي عاشت في المناطق الباردة في تطوير أسلوب للحفاظ على حرارة جسمها، وكانت حرارتها ترتفع في الجو البارد، وانخفض مستوى الفقد الحراري عندما أصبحت القشور التي تغطي جسمها أقل، ثم تحولت إلى فرو.. وكان إفراز العرق وسيلة أخرى لتنظيم درجة حرارة الجسم، وهي وسيلة لتبريد الجسم عند الضرورة عن طريق تبخر المياه.. وحدث بالصدفة أن صغار هذه الزواحف بدأت تلعق عرق الأم لترطيب نفسها، وبدأت بعض الغدد في إفراز عرق أكثر كثافة تحول في النهاية إلى لبن.. ولذلك حظي هؤلاء الصغار ببداية أفضل لحياتهم"

---

[1] (George Gamow, Martynas Ycas, Mr Tompkins Inside Himself, London: Allen & Unwin, 1968, p. 149)

والسبب الذي جعل هذا الكلام المضحك يبدو منطقيّا في نظر هؤلاء، هو أنه يعتمد في ظاهره على مبدأ علمي ومنطقي، هو السببية: لقد وُجِد السبب أولا (الماء والحاجة إلى صيد السمك) فتحولت أرجل الدببة إلى زعانف وذيل، ووُجِد العرق أولا والصغار التي تلعقه، فتحول إلى لبن!!!

لكن مشكلة هذا الهراء أنه غير علمي بقوانين الوراثة و DNA التي ظهرت بعد داروين (ناهيكم عن أن تحول العرق إلى لبن بمجرد اللعق، هو مجرد نكتة فكاهية، وإلا كنا حللنا مشكلة الغذاء في العالم بلعق العرق!!).

فالحيوانات كالدب، لا تملك أي قدرة على تغيير تركيبها بمجرد الإرادة الواعية، فإن جاع الدب مثلا واحتاج إلى السمك، فهو لا يملك آية آلية جسدية لتحوير نفسه جينيا لكي تظهر له زعانف ويتحول إلى حوت!!

وحتى إن افترضنا أن هذا حدث، فمن أبجديات علم الوراثة والجينات وDNA أن الصفات المكتسبة جسديا، لا يمكن أن يتم توريثها إلى الأبناء.. لأن الوراثة تتم في الخلايا الجنسية (الحيوانات المنوية والبويضات التي عن طريقها تتكون الأجنة)، وبالتالي لو حدث أي تغيير في قدرات العقل أو اليد أو القلب... إلخ، وأثّر ذلك على DNA الخاص بهذه الأعضاء، فسيظل هذا التأثير معزولا عن الخلايا الجنسية و DNA الخاص بها، وبالتالي لن يتم توريثه.. وهذه الحقيقة العلمية تقول إن المخلوقات الحية تملك آلية بديعة للحفاظ على ثبات الأنواع لا تطورها أو تشوهها، وبدون هذه الآلية كانت الحياة ستتقرض منذ ملايين السنين، فالمخلوق الذي سيُقطع ذيله أو تمرض عينه أو يولد مشوها، كان سيورث هذه العيوب لأبنائه فيقلل من فرصهم في الحياة، ومع الزمن يضيع الجمال والإبداع والتناسق في المخلوقات إلى أن تتقرض.. لكن الله سبحانه أبدع تصميم مخلوقاته، بحيث أن كل خلية في الجسم تحتفظ بنسخة كاملة ومعزولة من DNA الخاص بها، وأي تغير في محتوى DNA الخاص بأي خلية لا

يؤثر على الخلايا المجاورة لها (وبالطبع البعيدة عنها)، لهذا فهو لا يصل إلى الخلايا التناسلية.

وكانت هذه القاعدة هي التي أسقطت نظرية "لامارك" عن التطور، والتي بناها على افتراض أن الصفات الجسدية المكتسبة تورّث من الآباء إلى الأبناء.. وقد كانت لدى داروين فكرة (خاطئة كالعادة) عن أن الخلايا الجسدية التي يحدث لها تغير بسبب ظروف البيئة، تُطلق في الدم جزيئات أسماها 'gemmules' أو 'pangenes'، وأنها تتراكم في الخلايا التناسلية، لكي تنقل التغيرات الجديدة إلى الأبناء.. وقد أجرى تجارب على هذا فعلا، لكنها فشلت فشلا ذريعا!

إن مراجع العلم مليئة بالأمراض الجسدية التي تصيب البشر والحيوانات، والملايين يصابون بها كل يوم، وتحدث تغييرات في أجسادهم، ورغم هذا لا تُورَّث هذه التغييرات إلى أبنائهم.. هذا فضاء تجربة هائل ومستمر بشكل يومي منذ آلاف بل ملايين السنين، ورغم هذا لا يَنتج عنه أي شيء مختلف، وهذا من رحمة الله سبحانه بخلقه، ومن إبداع تصميمه لمخلوقاته.

وعلى سبيل المثال: الشاب الذي يُصاب بالعمى ثم ينجب أبناء، لا يكون أبناؤه عميانا بالوراثة!!.. وعلى الجهة الأخرى، المصارع ورافع الأثقال الذي يبني جسدا قويا وعضلات خارقة، لا يُولد أطفاله بنفس قوة عضلاته، ولا يَصلون إلى قوّته إلا إن تمرنوا على ذلك مثله!!.. ولو لم يكن ذلك كذلك، لكان سوبرمان حقيقة واقعية اليوم، بعد عدة أجيال من أولاد وأحفاد المصارع الأول!!

أما الأمراض الوراثية، الناتجة عن عيوب جينية، فهي تظل تُورّث جيلا بعد جيل.. وحتى عند الزواج بين شخص مصاب بها وشخص سليم، يظل احتمال وراثتها موجودا في الأجيال التالية، فمن يكون سليما من الجيل الأول يمكن أن يحملها كصفة متنحية، قادرة على الظهور في الأجيال التالية.

ومما يؤكد هذه الحقائق، تجارب تحسين النسل التي أجريت على الحيوانات بالتزاوج بين أفضل السلالات، فقد ثبت أن السلالات لا تتجاوز حدود نوعها مهما تعاقبت الأجيال وتحسنت الصفات إلى حدها الأقصى.. هذا بالطبع ما لم يتم التدخل بالهندسة الوراثية للتلاعب بالجينات، وهو أمر علمي مخطط مدبر، لا علاقة له بأي صدفة أو انتخاب طبيعي.. باختصار: هذا تطوير واع ذكي وليس تطورا ذاتيا أو عشوائيا!

الداروينية الجديدة، والتطور بالطفرات:

إذن فنحن اليوم نعلم علم اليقين أن التغيرات الجسدية لا تورث، ولا يمكن أن تغير شيئا في خصائص الأنواع، وبالتالي فإن تأثيرات البيئة وصراع البقاء لا يمكن أن يغيرا شيئا في الأنواع!

وكان هذا المطب القاتل، هو الذي أتي إلينا بالداروينيين الجدد في القرن العشرين، الذين قالوا إن الطفرات العشوائية يمكن أن تحدث في شريط DNA في الخلايا الجنسية أثناء عملية التزاوج وتكوّن الأجنة، على أن يقوم الانتخاب الطبيعي بعد هذا بقتل الكائنات المشوهة الناتجة من هذه الصدف العشوائية بسبب عدم قدرتها على التكيف مع ظروف البيئة، ومن ثم تتبقى الكائنات السليمة القادرة على البقاء، وبهذا تنشأ أنواع جديدة!

ولكن هذه الفكرة أغبى وأجهل من نظرية داروين الأصلية نفسها، وتنفيها علوم الرياضيات والإحصاء، كما أوضحت في موضوع أبدع حاسب وأبدع نظام تشغيل، خاصة المقطع السابع الذي أتحدث فيه عن رسم الموناليزا بالصدفة.. أرجو قراءة هذا الموضوع: "نظرة برمجية للحمض النووي الوراثي".

لكن الأسوأ من هذا وذاك، هو أن مروجي نظرية داروين، يستغلون جهل الناس فيتراقصون على الحبلين:

فتارة يقنعونك أن طائرا حوّر منقاره ليناسب الثمرة التي يأكلها، رغم أن هـذه فكرة داروينية قديمة نفاها العلم.. فإذا قلت لهم إن هذا مستحيل بقوانين الوراثة، قالوا لك إن الطفرات تحدث فتغير الكائن تدريجيا عبر الأجيال، وهـذه فكـرة داروينية جديدة لا تحتوي على أي سببية، ولا علاقة للطائر أو الثمرة بها.. فإذا قلت لهم إن الطائر سيموت من الجوع قبل أن تحدث كل تلك الطفرات في آلاف السنين لتجعله قادرا على أكل الثمرة، قالوا لك إن غريزة البقاء والتكيف دفعـاه إلى التطور بتحوير منقاره (وهذه فكرة داروينية قديمة)!!.. وهكذا دواليك فـي حلقة مفرغة!

دعونا إذن ننسف خرافات الداروينيين بما نعرفه اليوم من قواعد علوم الوراثة و DNA والرياضيات والإحصاء والحاسوب والبرمجة!

أبدع حاسب وأبدع نظام تشغيل

نظرة برمجية للحمض النووي الوراثي DNA

أخذتك في هذا الكتاب[٢] في رحلة ــ أرجو أن تجدها شيقة ــ في عالم البرمجة الساحر.

ولقد بدأنا هذه الرحلة بسؤال هو: من الذي اخترع الحاسب؟، وحاولنا أن نجد إجابة مقنعة له بالتنقيب عبر التاريخ عن كل من ساهموا في تطوير الرياضيات والعلوم المختلفة.

لكننا في الحقيقة، ما زلنا لم نجب إجابة شافية عن هذا السؤال، فقد أغفلنا من حسباننا أروع حاسب عرفه البشر وهو المخ البشري، وأروع نظام تشغيل في الكون، وهو الحمض النووي الوراثي DNA، الذي كتبه الخالق عز وجل بأبدع لغة برمجة في الوجود: الشفرة الوراثية.

لا أحب أن ننهي هذه الرحلة قبل أن نأخذ فكرة عن هذا الإبداع الإلهي، الذي هو أساس كل إبداع، وأصل كل اختراع.

---

[2] هذا هو الفصل الأخير من كتابي: "من الصفر إلى الاحتراف: فيجيوال بيزيك دوت نت ٢٠١٠"، وهو فصل يعتبر من فلسفة العلم، لأنه يحاول ربط البرمجة بالوراثة والعلم بالإيمان.. أرجو أن تجدوه مفيدا.

(١)
الإنسان يطوّر، لكن لا يخلق

يقول عز وجل في سورة البقرة:

(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {٣١} قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {٣٢} قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ {٣٣})

هذه إذن هي نقطة البداية الحقيقية.. لقد علم الله سبحانه آدم الأسماء كلها، فبدأت الإنسانية بطفرة في المعرفة.. بدفعة ما زلنا نسير في قصورها الذاتي إلى الآن.

لكن، هل يعني هذا أن الإنسان بدأ وهو يعرف كل شيء؟

ليس هذا ما نعنيه، فقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان العقل والإرادة، والقدرة على التعلم والاستكشاف، ومن ثَم التطوير.. ولم يكن هذا ممكنا لو لم يزود الله سبحانه وتعالى الإنسان باللغة والقدرة على التواصل.. يقول سبحانه في سورة الرحمن:

(الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ {٢} خَلَقَ الْإِنسَانَ {٣} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ {٤})

ومما يدل على أن الإنسان لم يولد ومعه المعرفة كاملة، قصة قابيل وهابيل ابني آدم عليه السلام، حينما قتل قابيل هابيل ولم يكن يعلم شيئا عن دفن الجثث.. يقول سبحانه في سورة المائدة:

(فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّـادِمِينَ {٣١}).

فالإنسان لم يولد بالعلم الكامل، لكن الله سبحانه منحه القدرة على التعلم من الطبيعة والمخلوقات من حوله.

هذا يوصلنا إلى حقيقة مذهلة، هي أنّ معظم التقنيات والاختراعات والفنون التي أبدعها البشر كانت مكتوبة أساسا على جينات الكائنات الحية!

هناك زهرة وفراشة وريشة صنعت فن الرسم.. ألوانها وتصميماتها الهندسية مكتوبة على جينات النباتات والحشرات والطيور بقدرة الخالق عز وجل.

هناك طائر زقزق فعلم الإنسان الغناء والعزف، وطائر طار بجناحيه فألهم الإنسان بحلم الطيران، وجعله يقلد ديناميكية طيرانه ومقاييسه الهندسية عندما صمم طائراته.

هناك طائر يخيط عشه علم الإنسان الحياكة.. وطائر يبني عشه بالطين علمه بناء المساكن.. ونملة علمته النظام والتدبير والتخزين، و.... و....

لكن الأمر لا يتوقف عند مجرد الملاحظة والتعلم والتقليد فالابتكار.. الأروع من هذا، أن معظم المواد التي نستخدمها في الصناعة جاءت من النباتات والحيوانات أساسا، (مثل الصوف والقطن والحرير والصمغ والأصباغ والأدوية وجميع المواد الكربوهيراتية والدهون النباتية والبروتين والخشب وعلف الماشية.. إلخ).. بل إن الفحم والبترول اللذين صنعا ثورة الآلة أصلهما النباتات والحيوانات، ولم يكونا ليوجدا لو لم يعمل اليخضور (الكلوروفيل) في أوراق النبانات على تحويل ضوء الشمس إلى طاقة كيميائية مختزنة في الروابط الكيمائية للنشويات والبروتينات، التي يتغذى عليها الحيوان، ومن تحلل أجساد

النباتات والحيوانات تحت ضغط باطن الأرض ودرجة حرارتها نشأ الفحم والبترول.

أما عن الكيمياء الحيوية التي تحدث في أجساد هذه النباتات والحيوانات، وما تفرزه من سوائل ومواد مختلفة الطعوم والأشكال والألوان والأغراض، فهذا مجال يطول فيه الحديث!.. وكمثال بسيط: لقد تعلم الإنسان من إنزيم الليبيز الموجود بالمعدة كيف يصنع مساحيق الغسيل الحديثة التي تزيل البقع الزيتية والدهنية!

لقد سطر الله سبحانه على جينات الكائنات الحية أفكارا مدهشة وتقنيات بديعة، فمن هذه الكائنات ما يصنع خزفا وخشبا وعسلا وسما و... و... و....، ومنها ما يستخدم حيل دفاع متطورة لحماية نفسه، ومنها ما يجيد الغَزَل والغناء، ومنها ما يتباهى بجماله وألوانه، ومنها ما يستخدم قوانين الطبيعة ليسبح في الماء أو الهواء أو يزحف على الأرض أو يحفر خلالها، ومنها ما يتكيف مع الحر والبرد والجفاف والجليد و.... و.....!

ما أريد أن أقوله هنا هو أنّ الإنسان لا يخلق شيئا من العدم ولا يبتكر شيئا من خياله المحض.. الإنسان مخلوق مُنح القدرة على الملاحظة والتحليل والاستنباط، ومن ثَمّ إعادة البناء.

ويمتاز الإنسان أيضا بالذاكرة، والقدرة على تناقل المعرفة وتخزينها وإعادة تعلمها.. هذا ما منح للعلم البشري طبيعة التراكم، والقدرة على البدء من حيث انتهى الآخرون، وعدم بدء الحضارة في كل جيل من مرحلة اختراع العجلة!

لهذا انتقل الإنسان عبر تاريخه من مرحلة اكتشاف النار بواسطة صاعقة (مؤثر خارجي مفاجئ)، إلى مرحلة اختراع الآلات البخارية لأداء وظائف معينة، حيث كانت الآلة تصنع أولا وعند تجربتها لا تعمل لسبب أو لآخر، مما يضيع تكلفة إنشائها، ومن ثم بدأت الحسابات الرياضية تأخذ حيزا في العملية، حيث

يتم تصميم الآلة أولا وحساب المعادلات التي تحكم عملها قبل إنتاجها، وهذا ما أوصلنا إلى المرحلة الحالية التي يسبق فيها التنظير التجريب، لدرجة أن صارت هناك معادلات نظرية لم يتم تطبيقها بعد لعجز التقنية!

وهناك عامل آخر أثر في مسيرة الفكر البشري، هو عامل الصراع، والحاجة التي هي أم الاختراع.. لقد قامت الدنيا على صراع الخير والشر، وهو ما كان حافزا ليطور كل فريق من الفريقين نفسه وأدواته، مما أدّى إلى تطور العلم والتقنية.. لقد أدت الحرب العالمية مثلا إلى قفزة هائلة في الطب والطيران والعديد من الاختراعات المفيدة كالأغذية المحفوظة على سبيل المثال.. هكذا يدفع الله الناس بعضهم ببعض، وإلا فسدت الدنيا وركدت.. ورب ضارة نافعة كما يقولون.

لكن ما يذهلك حقا هو قدرة بعض البشر على اختزال الحقائق بنظرة أحادية تستحق الشفقة، كأن يدعي بعضهم مثلا أن كل شيء نشأ بالصدفة بما في ذلك الإنسان نفسه وكل المخلوقات بل والكون بما فيه، وأن يدعي آخرون أن الصراع الطبقي هو أساس حركة التاريخ وأنه كاف لتفسير كل شيء، بما في ذلك الأديان التي يدّعون أنها جاءت لتكون أفيون الشعوب، وأن يدّعي غيرهم أن شهوات الإنسان وغرائزه هي المحرك لكل إبداعاته، وأن يدعي آخرون أن القرد تطور ليصبح إنسانا بينما كان يتسلى بأكل الموز على الأشجار!!.. إلى آخر كل هذه الأفكار المريضة الانتقائية، التي تأخذ ملاحظة سطحية ساذجة من ملاحظات الحياة وتحاول أن تعممها لتضلل السذج وقليلي المعرفة، بينما الحقيقة العلمية الواضحة تقول بجلاء إن هذا الكون محكم البناء ويسير على قوانين ثابتة، وإن هناك قوّة ملهِمة، تركت مفاتيح الإبداع في الطبيعة حول الإنسان وأمام عينيه، مكتوبة بتقنية مبهرة على الأحماض النووية الوراثية للكائنات الحية وفي ظواهر الطبيعة، وإن كان الإنسان قد احتاج إلى قرون ليكتشفها تدريجيا

ويتعلمها ويستفيد بها، وهو ما لم يكن يحدث أساسا لو لم يكن الإنسان مجهــزا بالمخ والملكات الذهنية والغرائز والدوافع التي تجعله يتفاعل مع كل ما حولــه ويستفيد به ويسخره ويتناقل خبراته عنه من جيل إلى جيل.

ما رأيك الآن لو أخذنا فكرة أوضح عن لغة البرمجة الإلهيــة المكتوبــة علــى أشرطة DNA لنفهم عما نتكلم بالضبط؟

هيا بنا.

(٢)
لغة الكيمياء

يتكوّن جسم الإنسان من ٥٠ إلى ١٠٠ تريليون خلية حية، علما بأن التريليون يساوي مليون مليون.. كلّ خلية من هذه الخلايا هي كتلة هلامية مجهرية، لم يكن داروين يدري شيئا عن تركيبها في عصره بسبب تخلف المجاهر الضوئية، ورغم ذلك لم يتورع سيادته عن إطلاق خزعبلاته عن تطور القرود ليصبحوا بشرا لمجرد التشابه في بعض السمات!

فأي أسرار مذهلة هي التي لم يكن يدري عنها داروين شيئا، خبأتها الخلية في تركيبها المحكم؟

تحتوي كل خلية على نواة هي مركز التحكم بالخلية.. ولو اعتبرت الخلية جهاز حاسب دقيق الحجم، فإن النواة تعتبر المشغل الدقيق Microprocessor الذي يتحكم بعمل هذه الخلية.. ويوجد بداخل كلّ نواة عدد من الصبغيات (كروموسومات) ــ عددها ٤٦ صبغيا في الإنسان ــ يتكون كلّ منها من شريطين مجدولَين من المركبات الكيميائيّة.. هذا هو "الحمض النووي الوراثي" DNA.

ولكي تتخيل دقة وإبداع هذا الشريط، أخبرك بأنه لو تمّ فرد كلّ شرائط DNA الموجودة في كلّ خلية من خلايا إنسان واحد فقط وتوصيلها معا، لصارت كافية للتوصيل بين الأرض والشمس ألف مرة، علما بأن المسافة بينهما تساوي ١٤٩ مليون كيلومتر!

ويعتبر شريط DNA أفضل وسيط تخزين معروف حتى الآن، فالشريط الواحد ــ الذي لا يُرى بالعين المجردة ــ يحمل معلومات تملأ نصف مليون صفحة

بحجم صفحات دليل الهاتف، وهو ما يكفي لصنع مكتبة تحتوي على أكثر من عشرة آلاف مجلد ضخم.. ولقد استغرق علماء عدة دول كبرى عِقد التسعينيات كله حتى استطاعوا تدوين هذه البيانات، في مشروع سُمّي "خريطة الجينوم البشري".

لكن مم تتكون هذه المعلومات؟

هذه المعلومات تتألّف من أربعة أنواع فقط من المركبات الكيمائية، هي:

أدنين (A) ــ سيتوزين (C) ــ ثايمين (T) ــ جوانين (G)

وتنشأ المعلومات من طريقة ترتيب هذه المركبات على شريط الحمض النووي لتعطي شفرات معينة تفهمها الخلية.

ولكي تتخيّل الأمر، دعني أذكرك بأنّ كلّ الكتب التي قرأتها في حياتك تتكوّن فقط من ٢٨ حرفا من حروف اللغة العربية.. هذه الحروف تكوّن كلمات (حوالي ٢,٥ مليون كلمة عربية)، وتكوّن الكلمات جملا (لا حصر لها)، وتكوّن الجمل كتبا (لا حصر لها).

كما أنّ لغة الموسيقى تتكوّن من سبعة أحرف فقط (السلم الموسيقي: دو ــ ري ــ مي ــ فا ــ صو ــ لا ــ سي)، وهي كافية لإنتاج كلّ المقطوعات والألحان المختلفة التي لا تكاد تحصى.

لكن لماذا نذهب بعيدا؟.. ألم نتعرف معا على لغة الحاسب التي تتكوّن من حرفين فقط؟.. ألا يتعامل الحاسب بنظام العدّ الثنائي Binary، حيث تتمّ به كلّ الحسابات والعمليات المنطقية، وعليه تمّ بناء لغات البرمجة ونظم التشغيل والبرامج وطرق تخزين البيانات وعرضها.. إلخ؟

تفهم الآن أنّ عدد حروف اللغة لا يحدّ من إمكانياتها، وعلى هذا فإنّ ٤ حروف كيميائيّة في لغة الشفرة الوراثيّة هي أكثر من كافية لعمل المعجزات!

ومن الحروف الأربعة للغة الشفرة الوراثية، يتمّ تكوين كلمات طول كلّ كلمة منها ٣ حروف.. معنى هذا أنّ معجم هذه اللغة يتسع فقط لـــ (٤ أس ٣) أي ٦٤ كلمة.

إنّ ٦٤ كلمة هو عدد كاف جدّا لتكوين جمل كثيرة، تختلف في أطوالها.. فلننظر مثلا لهذه الجملة:

GGU,GGC,GGA

هذه الجملة حيثما وجدت مكتوبة في خلية أيّ كائن حيّ، فإنها تؤدّي إلى بناء الحمض الأميني المسمّى الجليسين.

إذن فالجمل المكتوبة بلغتنا الكيميائيّة هي جمل الأحماض الأمينية.. ولو اعتبرنا كل كلمة في هذه اللغة أمرا Command، فيمكن اعتبار الحمض الأميني هو القيمة العائدة Return Value من الدوال Functions المكتوبة بهذه الأوامر!

فترى، ما هي البرامج التي يمكن كتابتها بدوال الأحماض الأمينية؟

هذه البرامج هي البروتينات التي تبني أجسام الكائنات الحيّة.

الجدير بالذكر أن كل البروتينات الموجودة بأجساد الكائنات الحيّة تستخدم ٢٠ نوعا فقط من أنواع الأحماض الأمينية، حيث يختلف كلّ بروتين عن الآخر في نوع وعدد وترتيب الأحماض الأمينية الداخلة في تركيبه.. هذا يعني أننا نحتاج على الأقلّ إلى ٢٠ دالة من دوال لغتنا الكيميائية، لبناء عشرين حمضا أمينيّا تدخل في تكوين حوالي ٣٠ ألف برنامج مختلف يصنع البروتينات الموجودة في الجهاز المعقد المسمى جسم الإنسان!

لكن في الحقيقة، لا يقتصر الأمر على هذه الدوال العشرين، فقد اكتشف العلماء أنّ هناك بعض الدوال لا تبني أحماضا أمينية، بل تستخدم لإعطاء أوامر معيّنة للخلية الحية، مثل بدء إنتاج البروتين أو إيقاف إنتاجه.. إلخ.

دعنا نلخص الأمر هنا:

لدينا لغة برمجة تتكون من ٤ حروف، تبني ٦٤ أمرا مختلفا، تدخل في تركيب ٢٠ دالة أساسية (الأحماض الأمينية)، يتم استخدامها ما بين ٧ مليارات إلى ٨ مليارات مرة، لتكوّن ما بين مليون إلى ٢ مليون فئة Class مختلفة تسمى الجينات، وتستخدم هذه الفئات لكتابة ٣٠ ألف برنامج متقدّم لصناعة ٣٠ ألف بروتين، ومن هذه البرامج يتم بناء نظام كامل معقد هو جسم الإنسان.

للمزيد من التفاصيل عن تركيب الخلية والحمض النووي والوراثة، يمكنك زيارة هذه الصفحة:

http://www.werathah.com/learning/index.htm

(٣)
تطبيقات برمجية ونظام تشغيل

إنّ خليّة واحدة من خلايا جسم الإنسان أعقد من كلّ الأجهزة التي اخترعها الإنسان في تاريخه كلّه.. ويشرح أستاذ البيولوجيا (مايكل دانتون) في كتابه "التطور: نظرية في أزمة" هذا التعقيد بمثال:

"كي نفهم حقيقة الحياة على النحو الذي كشفه علم البيولوجيا الجزيئية، يجب علينا أن نكبّر الخلية ألف مليون مرة حتى يبلغ قطرها ٢٠ كيلومتراً وتشبه منطاداً عملاقاً، بحيث تستطيع أن تغطي مدينة مثل لندن أو نيويورك.. ما سنراه -عندئذ- هو جسمٌ يتسمُ بالتعقيد والقدرة على التكيف بشكل غير مسبوق.. وسنرى على سطح الخلية ملايين الفتحات مثل الفتحات الجانبية لسفينة فضاء ضخمة، تنفتح وتنغلق لتسمح لمجرى متواصل من المواد أن ينساب دخولاً وخروجاً.. وإذا تسنى لنا دخول إحدى هذه الفتحات سنجد أنفسنا في عالم من التكنولوجيا المتميزة والتعقيد المحيّر.. تعقيد يتعدّى طاقتنا الإبداعية نفسها.. وهذه حقيقة مضادة لفرضية الصدفة ذاتها، وتتفوق بكل ما في الكلمة من معنى على أي شيء أنتجه عقل الإنسان".

إن المعلومات الوراثيّة المخزّنة على شريط DNA هي أبدع نظام تشغيل Operating System في العالم، وهو يفوق بمليارات المرات أحدث نظم التشغيل التي أنتجها الإنسان لتتحكم في أحدث الحواسيب حتى يومنا هذا كالويندوز واللينوكس وغيرها.. هذا لأن هذا النظام لا يتحكم في حاسب واحد، بل في عدة منظومات هي أجهزة الجسم، التي تحتوي في مجموعها على ٥٠ مليون مليون حاسب دقيق (خلايا الجسم)، موصلة معا بشبكة عصبية يشغّلها

حوالي ٨٦ مليار حاسب فائق هي خلايا الأعصاب، ويتحكم فيها خادم Server مركزي عملاق اسمه المخ، الذي يتكون وحده من حوالي ١٤ مليار حاسب فائق السرعة (الخلايا العصبية).. ويحتوي نظام التشغيل الإلهي DNA على كل البرامج اللازمة لتشغيل كل هذه المكونات المادية Hardware، بالإضافة إلى كل البيانات الأساسية والبرامج الوظيفية التي تعطي لكل نوع من الكائنات الحيّة سلوكه الخاص وسماته المميّزة وغرائزه الأساسية التي تدفعه إلى المحافظة على حياته.

وبجوار كلّ هذه الإمكانيات المذهلة لنظام التشغيل الإلهي، يتفرد هذا النظام بخاصية لا يوجد مثيل لها في أي نظام تشغيل كتبه البشر: فهذا النظام لا يتحكم فقط في سلوك الكائن الحيّ ووظائف أعضائه وأجهزته، بل إنه يبني جسد الكائن الحي نفسه منذ البداية من مكونات الأرض العادية!.. أيّ أنّ هذا النظام قادر على صناعة المكونات المادية Hardware ثم كتابة التطبيقات البرمجية Software التي تعمل على هذه المكونات المادية وتستفيد بقدراتها!

والآن، تخيّل أنّ كلّ هذا الإبداع المذهل مخزّن بالشفرة الكيميائية على شرائط DNA في نواة خلية واحدة فقط من خلايا جسمك، وأن هناك نسخة مكررة من هذا الكود موجودة في كل خلية من خلاياك!.. نصف مليون صفحة من الكود مخزّنة في نواة خلية واحدة فقط، ومكررة في ٥٠ مليون مليون خلية تكوّن جسمك!

المذهل أن وزن المادة الوراثية في الخلية الواحدة ــ مهما كانت وظيفتها ــ لا يزيد عن ٥ بيكو جرام، أي خمسة أجزاء من تريليون جزء من الجرام.. وهذا يعني أن مجموع أوزان النسخ المكررة للمادة الوراثية في جميع خلايا جسمك هو: ٢٥٠ جراما فحسب من مجموع وزنك!.. فسبحان الله!

الطريف في الأمر، أننا لو أخذنا نسخة من المادة الوراثية من كلّ فرد من سكان الأرض (٦ مليار نسمة)، لكان مجموع أوزانها ٠,٠٣ مـــن الجـــرام!.. فهـــل يتعجّب أحد من قدرة الله سبحانه على إعادة بعث جميع البشر بكامل خصائصهم يوم القيامة؟

(٤)
الدقّة حيث لا مجال للعبث

الخلية الحيّة هي مصنع البروتينات الوحيد على سطح الأرض، حيث لم يستطيع العلماء حتى اليوم تصنيع أية مادة بروتينية في المعمل، وإن أراد العلماء الحصول على مادة بروتينية، فما عليهم سوى أن يطلبوا من الخلية أن تصنعها لهم باستخدام الهندسة الوراثية!

العجيب أنّ كلّ خلية في جسمك تتخصّص فقط في ترجمة جزء معيّن من هذه الشفرة الوراثية لتبني البروتينات اللازمة للعضو الذي توجد به.. هذا هو ما يجعل الكبد كبدا، والقلب قلبا والذراع ذراعا.. كلّ خلية تعرف ماذا تبني ومتى تبنيه.. الأسنان مثلا تنمو في عمر معيّن، وتتوقف عن النمو في عمر معين.. الشارب واللحية ينبتان للذكور في عمر معين.... وهكذا.

تصميم بديع ودقيق ولا مجال فيه لأيّ صدفة أو عشوائية.

تخيّل مثلا ماذا سيحدث لك، لو أنّ خلايا فمك قرّرت فجأة ترجمة الأحماض الهاضمة الموجودة في معدتك؟!

طبعا فمك غير مبطن بالأغشية الواقية التي تحميه ــ كما هو الحال في المعدة ــ وبالتالي سيبدو الأمر كأنك شربت مادة كاوية!

صدقت يا رب: "وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها".. إنّ كلّ خلية في أجسادنا تؤدّي وظيفتها على أكمل وجه هي نعمة في حدّ ذاتها تستوجب الشكر والثناء.

بل إنّ تخيّل كيفية التناسق بين هذه الخلايا يصيب المرء بالذهول.. هناك عمليات معمارية لم يفهم العلماء كنهها حتى الآن، تجعل للأنف شكلا فراغيا مميزا.. وللأذن.. وللجمجمة.. ولكلّ جزء في جسم الإنسان.

سبحان الذي أبدع كلّ هذا التصميم المذهل، الذي يستحيل أن تنتجه صدفة بـــأي شكل من الأشكال.. يقول سبحانه في سورة الذاريات:

(وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ {٢١})

(٥)
مصانع عالية التقنية

تعال نفكر معا في الإعجاز الكامن في بذرة أحد النباتات.. البذرة هي مادّة ميتة لا حياة فيها، يمكن تخزينها لفترات طويلة.. لكن بمجرّد وضعها في التربة والماء، تدبّ الحياة فيها بإذن الله، لتبدأ في ترجمة الشفرات المكتوبة فيها لتنفيذ برنامجها المعقد.. ورويدا، تبدأ في أخذ الموادّ الخام (الماء والغذاء والهواء) لبناء مصنع جبار اسمه النبات.. هذا المصنع يُنتج منتجات رائعة (الزهور والثمار).. وبداخل منتجاته هذه توجد البذور، التي ستعيد إنتاج المصانع والمنتجات!

بجوار هذا، نكتشف أنّ مصانع النباتات ــ على عكس مصانع البشر ــ تحافظ على البيئة بإنتاج الأكسجين واستغلال ثاني أكسيد الكربون، وهي التي أنتجت جميع المواد الكربوهيراتية والدهون النباتية والبروتين والخشب وعلف الماشية وكل المنتجات النباتية التي استغلها الحيوان والإنسان والكائنات الحية الدقيقة.. بخلاف أنّ هذه المصانع هي أوّل وأهمّ مصانع تثبيت الطاقة الشمسية على الأرض، وبفضلها تكوّن البترول والفحم في الأرض.

تخيّل أنّ كلّ هذا المصنع التقنيّ كان في بذرة واحدة تحمل منها في قبضة يدك المئات، وأحيانا الآلاف؟!

بل وتخيّل هذه النتيجة المدهشة: بما أنّ حضارة الغرب الحديثة قامت على الآلات، التي تعمل بالفحم والبترول، والكهرباء (المولّد معظمها بحرق الفحم والبترول)، فإنّ معنى هذا أنّ حضارة الغرب وكلّ ما يتفاخرون به من التقنية، حرّكته الشفرة الوراثية الموجودة في بذور النباتات!!

فسبحان من أبدع هذا التصميم الخارق.. وعجبا لغطرسة الغرب، الـذي اتخـذ العلم ذريعة للإلحاد ونفي وجود الله، مع أنّ حضارته كلها صنعتها بذرة!.. حقا، فما أجهلَهم وما أغفلهم:

(يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ {٧} أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ {٨}) الروم.

نفس هذا الأمر ينطبق على كلّ مولود جديد، حيث يتمّ بناؤه من البداية من اتحاد المعلومات الموجودة في حيوان منوي وبويضة، ليحصل على نفس بنية وسمات نوعه، ويمتلك القدرة على التكاثر وإعادة إنتاج الحياة.. ومـن هـذه الشـفرة الوراثية تمّ بناء المخّ البشري، الذي اكتشف كلّ هذه العلوم وأبـدع كـلّ هـذه التقنية!

ولعلنا نلاحظ ربط القرآن الكريم في كثير من آياته بين المطر وإحيـاء الأرض بعد موتها، وبين البعث وإعادة خلق البشر.. انظر مثلا لقوله سبحانه:

(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَـا إِنَّ ذَلِـكَ لَمُحْيِـي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {٥٠}) الروم.

فالمحيّر فعلا، أن تعجّب الكفار أن يبعثوا مرّة أخرى بعد الموت، ولم يتعجّبـوا من معجزة خروج شجرة للحياة من وسط بعـض الأتربـة الجـرداء!.. الآن نكتشف أنّ التقنية واحدة فعلا: بذرة الشجرة لا تختلف كثيرا عن نطفة الإنسان، وما أسهل أن يعيد الله خلق الإنسان من خلية واحدة تحوي معلوماته الوراثيـة، مثلما يخرج الشجرة من بذرة في أرض ميتة.

***

إننا نصل دائما إلى نفس النتيجة: هناك نظم تشغيل بديعة لا مثيل لها مكتوبة في صورة شفرات برمجية فائقة الدقّة والكفاءة، هي المسئولة عن كلّ هذه الكائنات والمنتجات والآلات والحاسبات والعلوم والآداب والفنون!

فأيّ صدفة هذه التي يمكن أن تُوجد مثل هذا التصميم الدقيق، الذي يكفي أقــلّ خطأ فيه لقتل الكائن أو تشويهه؟

وأيّ صدفة هذه التي صنعت المبدعين والعباقرة والعلماء بــل وصــنعت مــا اكتشفوه من علوم حيوية وكيميائية؟!

(٦)
فبأيّ حديث بعده يؤمنون؟

لو علمت أنّ عدد أنواع الأحياء على سطح الأرض يقدّر بنحو ٤,٥ مليون نوع، يحتاج كلّ نوع منها مرجعا مستقلا للحديث عن سماته وسلوكه والصفات المتفرّدة التي يمتاز بها، وعلاقته بالبيئة وطرق تكيّفه معها... إلخ.. أفلن توافقني على أنه من رابع (وخامس وسادس ... ومليون ومليار وما لا نهاية) المستحيلات أنّ يكون للصدفة أيّ دخل بهذا؟!

إن هناك مصمّما مبدعا، استخدم الكيمياء الحيويّة في كتابة ٤,٥ مليون نظام تشغيل بالغة التعقيد والتميّز، يتحكم كلّ منها في بناء أحد أنواع الكائنات الحيّة ويمنحه صفاته السلوكية وخصائصه المميّزة.. سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

دعني أقل لك إنّ علماء الأرض لو اجتمعوا جميعا في صعيد واحد، ليكتبوا من عندهم شفرة وراثية تحرّك بعوضة ــ ولن أقول لك تصنع البعوضة ــ لما استطاعوا!

وهكذا نكتشف أنّ المعضلة ليست فقط في أن تتراص بعض المواد الكيميائيّة معا لتكوّن بعض المركبات الداخلة في جسم الكائن.. المعضلة الأكبر، هي أنّ هذه المركبات يجب أن تترتب بنظام معقّد لتكوّن (البرامج) الوراثية للكائن، التي تكفل لكلّ خلية في جسم الكائن أداء عملها بدقة (تخيّل الروعة في نظام تشغيل يحوى برامج خاصة بكلّ نوع من خلايا الجسم)، وتكفل للكائن أن يعرف أعداءه ويتكيّف مع بيئته (معلومات تشغيل أساسية للنظام)، ويميل الذكر منه إلى الأنثى حتى يمكن أن يتكاثرا لإعادة إنتاج أجيال جديدة (حتى الحب والشهوات مكتوبة على شفراتنا الوراثية)!

يقول (جورج وليامز) ــ وهو أحد كبار المدافعين عن نظرية التطــور ــ فــي مقال كتبه عام ١٩٩٥:

"لقد فشل البيولوجيون من مؤيدي التطور في إدراك أنهم يعملون مــن خــلال نطاقين يمكن القول إنهما غير متكافئين: أولها خاص بالمعلومات، والثاني خاص بالمادة.. ذلك أن الجين هو حزمة من المعلومات وليس (شيئاً ما).. هذا الوصف النادر يجعل من المادة والمعلومات نطاقين مختلفين للوجود، ينبغي مناقشة كــل منهما على حِدَة"

يقول سبحانه في القرآن الكريم:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَــمْ يَكْــفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {٥٣}) سورة فصّلت.

والآن دعني أسألك سؤالا:

ماذا سيكون رد فعلك لو زعم شخص ما يوما أن نظام الويندوز نشأ بالصــدفة، نتيجة وجود برنامج عشوائي على حاسب بيل جيتس كان يلخبط الأرقام معا؟!!

(٧)
وللرياضيات كلمة

يقول العالم الرياضيّ والفلكيّ الإنجليزيّ المعروف (فريد هويل):
"إنّ ظهور خليّة حيّة للوجود عن طريق الصدفة، يشبه ظهور طائرة من طراز (بوينج ٧٤٧) عن طريق الصدفة، نتيجة هبوب عاصفة على محـــلات لأدوات الخردة"!!
عموما، لمن يحبّون الرياضيات، دعنا نَنفِ لهم احتمال أن يكون كل هذا الإبداع وليد المصادفات.

***

مثال سريع من علم الإحصاء:
لو ألقيت عملة فقد تحصل علو صورة أو كتابة، لذا فاحتمال أن تحصل علـــى الصورة هو ٥٠%.
أما لو ألقيتها مرتين فقد تحصل على (صورة وصورة، أو صورة وكتابـــة، أو كتابة وصورة، أو كتابة وكتابة).. إذن فاحتمال أن تحصل على الصورة مرتين متتاليتين هو ٢٥%.
على نفس المنوال: لو ألقيت العملة ثلاث مرات، فاحتمال أن تظل تحصل على الصورة في المرات الثلاث تباعا هو ١٢,٥% فقط.. وهكذا يظـــل الاحتمـــال يتضاءل بصورة أسية Exponentially حتى يصل سريعا إلى قيمة أقرب مـــا تكون إلى الصفر!.. وبصيغة عامة:
احتمال تكرار الصورة لعدد ن من المرات يساوي ١/(٢ أس ن).
إن احتمال أن تحصل على الصورة في مئة رمية متتالية هو (٢/١) أس ١٠٠، وهو احتمال مستحيل يساوي صـــفرا، لأن الـــرقم الســـابق يســـاوي تقريبـــا

(١٠/١) أس ٣٠، أي فرصة واحدة من كل ١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ محاولة، ولو افترضت أنك تستطيع إلقاء العملة مرة كل ثانية، فعليك أن تجرب إلقاءها ١٠ أس ٣٠ مرة لتحصل من بين كل هذه المرات على ١٠٠ صورة متتالية.. إذا حاولت أن تحسب قيمة ١٠ أس ٣٠ ثانية بالسنوات، فستحصل على عدد من السنوات يساوي: ٣،١٧٠،٩٧٩،١٩٨،٣٧٦،٤٥٨،٦٥٠،٤٣١ أي أكثر من ثلاثة مليارات مليون مليون سنة!!

ويمكنك أن تجرب هذا الأمر عمليا بنفسك لو لم تصدقني، وأنا أؤكد لك أنك ستموت قبل أن تحصل على مئة صورة متتالية، حتى لو لم تفعل أي شيء آخر في حياتك سوى إلقاء العملة!

بل والأدهى من هذا، أنك لو سخّرت معك كل سكان الأرض البالغ عددهم ٧ مليارات إنسان، لإلقاء العملة على أمل أن يحصل واحد منهم فقط على ١٠٠ صورة متتالية، وظل كل واحد منهم يلقي العملة مرة في الثانية، فهذا يعني أنهم جميعا ما زالوا يحتاجون إلى أكثر من ٣٠٠ مليار سنة لتحقيق هذا الإنجاز التاريخي، وهذا أطول من عمر الأرض والمجموعة الشمسية بل والكون كله!!

فإذا كان من المستحيل أن تحقق الصدفة أمرا تافها لا معنى له مثل الحصول على ١٠٠ صورة متتالية عند إلقاء العملة، فكيف بالله عليكم تُنتج الصدفة ملايين الأنواع الحية بكل هذا الجمال وكل هذا الإبداع؟

***

احتمال تكوّن بروتين بالصدفة:

ددعنا نتجاهل الكلام عن نصف مليون صفحة من المعلومات الموجودة على شريط DNA، تتحكّم في بناء ٣٠ ألف بروتين في جسم الإنسان، وهل من الممكن أن تترتب هكذا بالصدفة أم لا، فهذا أوضح من أن نتكلم عنه!

سنتكلّم هنا فقط عن احتمال تكوّن بروتين واحد بالصدفة.. بروتين واحد لا يكفي لصناعة خلية بمفرده، وليس له علاقة بالتعقيد البرمجي الموجود في أشرطة DNA، ولكنّه يظلّ معجزة في ذاته:

توجد ثلاثة شروط لتكوين بروتين مفيد:

الشرط الأول: أن تكون جميع الأحماض الأمينية في سلسلة البروتين من النوع الصحيح وبالتتابع الصحيح.

الشرط الثاني: أن تكون جميع الأحماض الأمينية في السلسلة عسراء.

الشرط الثالث: أن تكون جميع هذه الأحماض الأمينية متحدة فيما بينها من خلال تكوين ترابط كيميائي يسمى "ترابط الببتايد".

ولكي يتم تكوين البروتين بمحض الصدفة، يجب أن تتواجد هذه الشروط الثلاثة الأساسية في وقت واحد.. إذن فالاحتمال تكوين بروتين بمحض الصدفة يساوي حاصل ضرب احتمال تحقّق كل واحد من هذه الشروط.

فعلى سبيل المثال، بالنسبة لجزيء بروتين متوسط الطول يحتوي على سلسلة من الأحماض الأمينية طولها ٥٠٠:

(١) احتمالية أن تكون الأحماض الأمينية موجودة بالتتابع الصحيح:

يوجد عشرون نوعاً من أنواع الأحماض الأمينية تُستخدَم في تركيب البروتينات، وبناء على ذلك فإن: احتمالية أن يتم اختيار كل حمض أميني بالشكل الصحيح ضمن العشرين نوعاً هذه = ١/٢٠.

واحتمالية أن يتم اختيار كل الأحماض الخمسمئة بالشكل الصحيح = (١/٢٠) أس ٥٠٠ = ١/(١٠ أس ٦٥٠).

(٢) احتمالية أن تكون الأحماض الأمينية عسراء:

احتمالية أن يكون الحمض الأميني الواحد أعسر = ١/٢

احتمالية أن تكون جميع الأحماض الأمينية عسراء في نفس الوقت = (١/٢) أس ٥٠٠ = ١/(١٠ أس ١٥٠).

(٣) احتمالية اتحاد الأحماض الأمينية بترابط الببتايد:

تستطيع الأحماض الأمينية أن تتحد معاً بأنواع مختلفة من الترابطات الكيميائية.. ولكي يتكون بروتين مفيد، فلا بد أن تكون كل الأحماض الأمينية في السلسلة قد اتحدت بترابط كيميائي خاص يسمى "ترابط الببتايد".. ويتضح من حساب الاحتمالات أن احتمالية اتحاد الأحماض الأمينية بترابط كيميائي آخر غير الترابط الببتيدي هي خمسون بالمئة.. وفيما يتعلق بذلك:

احتمالية اتحاد حمضين أمينيين بترابطات ببتايدية = ١/٢.

احتمالية اتحاد جميع الأحماض الأمينية بترابطات ببتيدية = (١/٢) أس ٤٩٩ = ١/(١٠ أس ١٥٠).

(٤) وهكذا تكون المحصلة النهائية للاحتمال:

= ١/(١٠ أس ٦٥٠) × ١/(١٠ أس ١٥٠) × ١/(١٠ أس ١٥٠)

= ١/(١٠ أس ٩٥٠).

لاحظ أنّ ١٠ أس ٩٥٠ تعني الرقم مليار مضروبا في نفسه ١٠٥ مرة.. وهو رقم مذهل.. ولو استخدمنا مليارات المليارات من الحاسبات بسرعات مذهلة

لمحاكاة هذه الاحتمالات، فلن يكفيها عمر الكون كله لإنتـــاج بـــروتين واحـــد بالصدفة!

لاحظ أن العلماء يقدرون عدد ذرات الكون بحـــوالي ١٠ أس ١٢٠ ذرة!.. أي أنها لا تكفي كلها معا لصنع الخليط الذي يتم فيه تجربة كل هذه الاحتمالات!

ولكي يمكنك تخيّل فداحة هذه الأرقام، سأخبرك أنّ جهاز الحاسب الذي يحـــوي مشغلا دقيقا يعمل بسرعة ٣ جيجا هرتز (أيّ ٣ مليار نبضـــة فـــي الثانيـــة) وذاكرة فورية Cash Memory سعتها ٢ ميجا وذاكرة مؤقتة RAM ســـعتها جيجا، يحتاج إلى حوالي ١٢٦ مليون مليون سنة لمجرد العدّ من صفر إلى (١٠ أس ٣٠).. ولو شئت أن تعرف كم يحتاج للعدّ إلى (١٠ أس ٩٥٠) فضع على يمين الزمن (١٢٦ مليون مليون سنة) ٩٢٠ صفرا أخرى!!!!!

لا تصدقني؟

جرب بنفسك هذا الكود في تطبيق اختبار في لغة فيجوال بيزيـــك دوت نـــت، لتعرف كم يحتاج جهازك للعد من ١ إلى (١٠ أس ٣٠):

```
Sub Main( )
        Dim StartTime As Date = Now
        For I As ULong = 1 To 10 ^ 10


        Next
        Dim T As Double
        T  = DateDiff(DateInterval.Second, StartTime, Now)
        T *= 10 ^ 20 / 60 / 60 / 24 / 366
        Console.WriteLine(T)
        Console.ReadLine( )
End Sub
```

فكرة هذا الكود بسيطة، فهو يحسب الزمن اللازم للعد من ١ إلى ١٠ أس ١٠ (أي ١٠ مليار).. هذه العملية تحتاج على جهازي إلى حوالي ٣٨ ثانية، وهي سرعة مدهشة فعلا.. لاحظ أنك لو حاولت أن تجعل الجملة التكرارية تعدّ حتى ١٠ أس ١١ (أي ١٠٠ مليار) بزيادة صفر واحد فقط، فستضطر إلى الانتظار ٣٨٠ ثانية (حوالي ٦ دقائق) إلى حين انتهاء تنفيذ البرنامج.. ولو أزدت صفرا إضافيا فستنتظر ساعة، ولو أزدت صفرا إضافيا فستنتظر ١٠ ساعات.. وهكذا.. لاحظ أن أقصى رقم تستطيع استخدامه هو ١٠ أس ١٩، لأن هذه هي سعة الأعداد الطويلة الموجبة ULong.

بعد أن حسبنا في الكود الوقت الذي استغرقه العد حتى ١٠ أس ١٠، نريد أن نعرف كم يستغرق العد حتى ١٠ أس ٣٠.. بحسبة بسيطة ستجد أنك تحتاج إلى ضرب هذا الوقت × ١٠ أس ٢٠.. هذا الوقت الناتج سيكون بالثواني، لهذا قسمناه على ٦٠ لتحويله إلى دقائق، ثم على ٦٠ لتحويله إلى ساعات، ثم على ٢٤ لتحويله إلى أيام، ثم على ٣٦٦ لتحويله إلى سنوات.

جرب البرنامج الآن وانتظر حتى يظهر على الشاشة عدد السنوات التي يحتاجها جهازك للعد حتى ١٠ أس ٣٠ فقط!

عند تجربة هذا البرنامج على جهازي عرض لي الرقم التالي: ١٢٦،٤٩٢،٦١٢،٨٣١،٤١٠، الذي يساوي تقريبا ١٢٦ تريليون سنة، أي ١٢٦ مليون مليون سنة!

(٨)

برنامج لمحاكاة إلقاء العملة المعدنية

لدراسة احتمال الحصول على ١٠٠ صورة متتالية

نظرا لأن غير المتخصصين قد يتشككون في الاحتمالات التي حسبناها هنا، وقد يعجزن عن تخيل فداحة الأرقام التي تتكون من أكثر من ٣٠ خانة عشرية، قررت أن أكتب لهم برنامجا يحاكي عملية إلقاء عملة معدنية، ويسجل عدد مرات تكرار الصور على التوالي.

فكرة هذا البرنامج بسيطة، فهو يحصل على عدد صحيح عشوائي، فإن كان هذا العدد زوجيا نعتبر أننا حصلنا على صورة، وإن كان فرديا نعتبر أننا حصلنا على كتابة.. ويسجل البرنامج عدد مرات الحصول على صور على التوالي وعدد محاولات إلقاء العملة التي نتج بعدها هذا العدد من الصور المتتابعة، لكي ندرك مقدار التجريب العشوائي الذي نحتاجه.. ويعرض البرنامج هذه النتائج كما في الشاشة:

وستجدون هذا البرنامج مرفقا بهذا الكتاب.
والآن دعونا نعلّق على هذا البرنامج.. سيكون لدينا هنا تعليق للمبرمجين، وتعليق عام على فكرة الصدفة والعشوائية التي كتبنا البرنامج من أجلها.

بالنسبة للمبرمجين:
في بداية تصميمي للبرنامج كنت أعرض ناتج إلقاء العملة (صورة أو كتابة) في مربع قائمة ListBox.. ولكن نظرا لأن هذه النتائج بالمليارات، فإنها كانت تبطئ البرنامج بشكل كبير، وتستهلك مساحة من الذاكرة بمرور الوقت.. لهذا وجدت أن حذف هذه القائمة أفضل، وعرض إحصائيات حول النتائج بدلا منها.
أيضا، كنت أستخدم الوسيلة Application.DoEvents داخل حلقة التكرار Loop التي تحاكي إلقاء العملة، ولكن معروف أن DoEvents تبطئ البرنامج أيضا بشكل ملموس، لهذا تخلصت منها، واستخدمت بدلا من ذلك عملية فرعية Thread لتنفيذ المحاكاة، بحيث تظل واجهة البرنامج فعالة وتعرض الإحصائيات بينما العملية الفرعية تنفذ الاحتمالات.. واستلزم هذا أيضا استخدام منبه Timer على النموذج، لتحديث الإحصائيات كل ثانيتين.. لاحظ أن أخذ البيانات من العملية الفرعية ممكن إذا قمت بتعريف الإجراء الذي تنفذه العملية الفرعية داخل فئة Class، ووضعت في هذه الفئة متغيرات عامة مشتركة Shared يمكنك قراءتها من خارجها، بحيث يمكنك التواصل من خلالها مع العملية الفرعية.
يمتاز البرنامج أيضا بأنه يحفظ حالته عند إغلاقه، حتى يمكن استكمال التجريب بعد إعادة تشغيله من آخر نقطة توقف عندها.. لفعل هذا يتم حفظ بعض القيم في مسجل قيم الويندوز Registry، أما الإحصائيات، فيتم حفظ القائمة List

التي تحتوي عليها، باستخدام عملية الحفظ المتسلسل Serialization، باستخدام الفئة BinaryFormatter، التي تحفظ الكائن في ملف.

بالنسبة لفكرة البرنامج:

هذه عينة من النتائج التي حصلت عليها بعد تشغيلي لهذا البرنامج:

عدد الصور المتتالية	عدد المحاولات
2	2
4	46
10	114
11	4,714
13	6,029
15	44,470
16	111,341
18	496,189
21	3,212,466
23	29,189,237
28	62,475,355
29	367,651,887
30	1,919,167,745

يمكننا أن نلاحظ من هذه النتائج ما يلي:

- عدد مرات إلقاء العملة اللازم للحصول على عدد معين من الصور المتتابعة يزداد أسيا Exponentially مع زيادة هذا العدد، والأساس هنا هو الرقم ٢ (لأننا نتعامل مع حالتين فقط: صورة أم كتابة).. لهذا تم

الحصول على صورتين متتاليتين من أول رميتين.. في الحقيقة هذا حظ حسن، لأن احتمال هذا الموقف هو ١/٤.

- احتمال الحصول على ثلاث صور متتالية هو ١/٨.. لكن هذا لم يحدث في أول ٨ رميات، ولا حتى أول ٤٤ رمية!.. حظ سيء :).
- في الرمية ٤٥ تحققت ٣ صور متتابعة، لكن الرمية ٤٦ حققت صورة أيضا لهذا سجلها البرنامج كأربع صور متتابعة بعد ٤٦ محاولة لإلقاء العملة.. هذا حظ سيء أيضا، لأن احتمال الحصول على ٤ صور متتابعة هو ١/٢ أس ٤، أي مرة من كل ١٦ رمية.. هذا يكشف لنا أن الاحتمالات التي نحسبها هي أفضل التوقعات، ولا يشترط حتى أن تتحقق.
- تفاجأنا أيضا بمفاجأة سعيدة حينما حصلنا على ١٠ صور متتابعة بعد ١١٤ رمية.. احتمال ١٠ صور متتابعة هو ١/٢أس ١٠، أي مرة واحدة من كل ١٠٢٤ رمية.. قد تبدو لك النتيجة غريبة ولكنها صحيحة، فالاحتمال يقول إنك في خلال ١٠٢٤ رمية تستطيع الحصول على ١٠ صور.. قد يحدث هذا من أول ١٠ رميات (وتكون ملك الحظ **J**)، وقد يحدث بعد ١١٤ رمية كما رأيت، وقد يحدث بعد ١٠٢٤ رمية، وقد تكون تعيس الحظ ولا يحدث مطلقا.. تذكر دائما أن هذه احتمالات وتوقعات، وليست معادلات رياضية صارمة.. أنت لا تعرف شيئا يقينا، ولكنك تضع إطارا رياضيا يتيح لك توقع النتائج بشكل معقول.
- من الآن فصاعدا ستتباعد النتائج، فالمقام يزيد أسيا بالضرب في ٢ ومضاعفاتها، وهذا يقلل من الاحتمالات بصورة كبيرة، ويزيد من عدد المحاولات اللازمة بصورة سريعة.. لهذا تطلّب الحصول على ١٥ صورة متتابعة أكثر من ٤٤ ألف محاولة، بينما تطلب الحصول على ٢١

صورة متتابعة أكثر من ٣ مليون محاولة، بينما الحصول على ٣٠ صورة متتابعة استلزم تقريبا ٢ مليار محاولة!

- حتى الآن أنا أنتظر حصول البرنامج على ٣١ صورة متتابعة.. هذا لم يحدث بعد أكثر من ساعتين من تشغيله، وتجاوز عدد محاولات إلقاء العملة ٤ مليار رمية!

(في تجربة أخرى للبرنامج، حصلت على ٣٠ صورة متابعة بعد أكثر من ٢,٥ مليار محاولة، وظللت أنتظر بعدها أكثر من ٦ ساعات، تجاوز فيها عدد المحاولات ١٢ مليار محاولة، ولم يحدث تتابع ٣١ صورة!!)

- كما قلت لكم إن هذه الاحتمالات تتبع نمطا أسيا، ومعروف أن الدوال الأسية دول شرسة، فنتائجها تتزايد بصورة هائلة مع أقل تغيير في قيمة المدخلات، لذا فإن كل صورة إضافية ننتظر إضافتها إلى عدد مرات تكرار الصور المتتابعة، نتوقع حدوثها بعد ضعف عدد المحاولات السابق.. على الأقل!!.. لهذا كنت أنتظر ٣١ صورة متتالية بعد ٤ مليار محاولة، لكنه لم يحدث إلى الآن.. مع العلم أن هذا الاحتمال رياضيا يساوي ٢/١أس ٣١، أي مرة من كل ٢ مليار و ١٠٠ مليون محاولة تقريبا.. لكن الصدفة لم تحقق هذا الاحتمال كما وعدتنا!

- أظن أنك الآن تدرك فداحة الأرقام التي تنتج من هذه الاحتمالات، وأن عمر الكون لن يكفي الحاسوب للحصول على ١٠٠ صورة متتابعة، رغم سرعته الخارقة (تجاوزت عندي نصف مليون رمية في الثانية).. بمثل هذه السرعة سيحتاج الحصول على ١٠٠ صورة متوالية إلى ٢ أس ١٠٠ محاولة، أي ١٢٦٧٦٥٠٦٠٠٢٢٨٢٢٩٤٠١٤٩٦٧٠٣٢٠٥٣٧٦ محاولة، وبقسمتها على ٥٠٠ ألف يتضح أن حاسوبي يحتاج إلى ٢٥٣٥٣٠١٢٠٠٤٥٦٤٥٨٨٠٢٩٩٣٤٠٦ ثانية لتنفيذ هذه المحاولات،

وهو ما يساوي ٧٠٤٢٥٠٣٣٣٤٦٠١٢٧٤٤٥٢٧٥ ساعة، أي ٢٩٣٤٣٧٦٣٨٩٤١٧١٩٧٦٨٨٦ يوما، أي ٨٠،٣٩٣،٨٧٣،٦٨٢،٦٦٢،٩٥٠ عاما، أي أكثر من ٨٠ مليون مليار سنة!!

افترض أن هناك حاسوبا أسرع من جهازي ألف مرة.. سيظل يحتاج إلى ٨٠ مليون مليون سنة!

ولو اشترك معه ألف حاسوب مثله في تجريب هذه الاحتمالات على التوازي، فستظل تحتاج إلى ٨٠ مليار سنة (أكثر من ضعف عمر الكون!!)

أما إذا افترضنا أن هناك مليار حاسوب كل منها أسرع من جهازي ألف مرة، اشتركت جميعا في هذه المهمة الجسيمة، فمن المتوقع أن يحصل أحدها على ١٠٠ صورة متتالية في خلال ٨٠ ألف سنة!!

وإذا افترضنا أننا سخرنا جميع موارد الأرض وميزانيات الدول ومصادر الكهرباء لتخصيص ١٠٠٠ مليار حاسوب متقدم لهذا المشروع العلمي الجبار، فمن المتوقع الحصول على النتيجة في ٨٠ سنة!! (ستكون دول العالم أفلست فيها، ومات الناس جوعا طبعا **J**)

هذا يثبت لنا بوضوح هذه الحقيقة الناصعة: لا تستطيع الصدفة إنتاج أي شيء مركّب أو أي تتابع منتظم، حتى لو كان بسيطا جدا، مثل الحصول على ١٠٠ صورة على التوالي عند إلقاء العملة.. هذا خارج كل الحسابات الرياضية، وأعلى من قدرة الحاسوب على المحاكاة، ويبدو أمامه عمر الكون كله شيئا تافها.. فما بالنا لو تكلمنا عن نظم بالغة التعقيد كالخلايا الحية؟.. هذه فقط بعض الأرقام التي تكشف لك قليلا من تعقيدها:

- يوجد على شريط DNA الخاص بالإنسان ٣ مليار شفرة وراثية، عند كتابتها على ورق، فإنها تملأ ١٠ آلاف مجلد متوسط الحجم.. كل موضع للشفرة منها يأخذ قيمة من ٦٤ قيمة مختلفة، أي أن أي تجريب عشوائي هنا لكتابة الشفرات سيكون أسيا للأساس ٦٤ (وليس للأساس ٢ كما في حالة رمي العملة)!.. وقد سبق أن حسبنا أن عدد نسخ DNA المختلفة التي يمكن الحصول عليها بالترتيب العشوائي للشفرات تساوي (٦٤ أس ٣ مليار) أي حوالي (١٠ أس ٥ مليار)!!
- حسب العلماء احتمال ظهور خلية واحدة بالصدفة، فقدروه بـ ١٠/١ أس ٤٠ ألفا!!
- يوجد في جسم الإنسان من ٥٠ مليون مليون خلية إلى ١٠٠ مليون مليون خلية (تبعا للعمر والحجم والجنس.. إلخ).
- حسب العلماء احتمال ظهور بروتين واحد بالصدفة، فقدروه بـ ١٠/١ أس ٩٥٠.
- يوجد في جسد الإنسان حوالي ٣٠ ألف بروتين مختلف!
- يوجد على ظهر الأرض حوالي ٩ مليون نوع من المخلوقات الحية.. الملحدون يريدون إقناعنا أنها ظهرت جميعا بالصدفة، بكل خلاياها وبكل بروتيناتها وبكل شفراتها الوراثية، وحجتهم في هذا أن عمر الكرة الأرضية حوالي ٤,٥ مليار سنة وأنه رقم كبير بما يكفي لكي تنجز الصدفة كل هذا!!.. والأدهى أنهم يسمون هذا كلاما علميا!!.. وقد رأينا باستخدام الحواسيب التي اخترعوها أن عمر الأرض بل عمر الكود كله (٣٠ مليار سنة تقريبا) لا يكفي لكي يحاكي الحاسوب احتمال الحصول على ١٠٠ صورة متتالية عند إلقاء العملة!!!!

الخلاصة:

يمكننا الآن تبسيط القضية التبسيط المخل التالي:

افترض أن احتمال ظهور خلية حية بالصدفة يساوي احتمال حدوث ١٠٠ صورة متوالية عند إلقاء العملة.. بهذا التناظر الساذج جدا، ستتحول خرافة التطور إلى المسألة الرياضية التالية:

احتمال ظهور ٩ مليون نوع من المخلوقات الحية = احتمال الحصول على ١٠٠ صورة متتالية عند إلقاء العملة، وتكرار هذا الأمر الخارق ٩ مليون مرة، وهو ما يساوي تبعا لهذا التبسيط المخلّ: (٢/١ أس ١٠٠) أس ٩ مليون.. أي ٢/١ أس ٩٠٠ مليون.. وهو ما يساوي تقريبا ١٠/١ أس ٩٠ مليون!!!

واضح طبعا أنك لو أحضرت حواسيب بعدد ذرات الكون، فلن تستطيع محاكاة مثل هذا الاحتمال الخرافي!! (ومن هنا أسميناها خرافة داروين **J**)

أحببت أن أؤكد على هذا في الختام، لأني في نقاش مع أحد الداروينيين الملاحدة، اكتشفت أنهم يؤمنون بالصدفة إيمانا مطلقا.. فقد قال لي: أليس من الممكن أن يسحب شخص محظوظ البطاقة الصحيحة من أول مرة من صندوق به مليون بطاقة؟

فأجبته: هذا احتمال ١ في المليون، ولكن طبعا ممكن إذا كان هذا الشخص محظوظا جدا.. ولكن هل يمكن أن يكرر هذا الشخص نفس المحاولة مرتين وينجح؟.. ثلاث مرات؟.. أربع مرات؟. فماذا إذا وجدت نفس هذا الشخص يسحب البطاقة الصحيحة من الصندوق مليون مرة متتالية؟.. هذا احتمال (١٠/١ أس ٦) أس مليون، أي ١/ ١٠ أس ٦ مليون، وهو المستحيل بعينه.. وإن رأيت شخصا يحقق هذا المستحيل، فلا ريب أنه شخص خارق لقوانين الطبيعة، ويستطيع أن يرى عبر الصندوق والبطاقات، ليختار البطاقة الصحيحة في كل مرة!.. أي أنه إله!!

فالمسألة إذن ليست في تحقق الصدفة الأولى (التي هي ممكنة في نظرهم)، ولكن المسألة كلها في تتابع هذه الصدف مرارا وتكرارا لتبدع وتطور وتركّب وتعقّد وتهندس وتنجز أشياء تعجز عن مجاراتها إلى الآن العلوم البشرية والتقنيات الحديثة!

فإن كان الحصول على صورة عند إلقاء العملة مرة أو مرتين عملية مضمونة، فإن الاستمرار في الحصول على الصورة في كل مرة لمئة مرة متتالية أمر خارج حسابات الكون الذي نعيش فيه كما أثبتنا!

فهل هناك أتفه من هذا لنتحدى الصدفة فيه؟!

نحن إذن نتكلم عن تصميم ذكي، واع مدبر مخطط ومنفذ بعناية ودقة، ولا علاقة له بأي صدفة أو عشوائية.

(٩)

رواية الحصن الرقمي: دان براون يخدعكا

هناك رواية للكاتب الأمريكي دان براون اسمها "الحصن الرقمي"، بنى فكرتها على وجود جهاز حاسب عملاق يحتوي على مليون مشغل دقيق تعمل على التوازي، تستخدمه المخابرات الأمريكية لحل الشفرات، وادعى المؤلف أن مثل هذا الحاسب قادر على حل أي شفرة في أوقات قياسية مهما كانت هذه الشفرة معقدة، وذلك بتجريب كل الاحتمالات الممكنة لمفتاح الشفرة.. هذه فكرة في منتهى السذاجة وتدل على عدم التخصص، لأننا لو افترضنا أن كلّ مشغل دقيق يعمل بسرعة ٣ جيجا هرتز، فإن فك شفرة تتكون من ٣٠ حرفا فقط سيتطلب من هذا الجهاز العمل لمدة قد تصل إلى ١٢٦ مليون سنة! (لا تنس أن وجود مليون مشغل دقيق في ذلك الجهاز يجعله أسرع من جهازي بمليون مرة).. هذا مع افتراض:

- أن كل موضع من المواضع الثلاثين في المفتاح يقبل ١٠ حروف مختلفة فقط، مع أنك تعلم جيدا أن كل موضع يمكن أن يقبل ٢٥٦ حرفا!!
- وأن حلقة التكرار For Next فارغة، ولا تفعل شيئا إلا الدوران، بينما أنت تعرف من فصل تشفير وضغط الملفات، أن هذه الحلقة يجب أن تحتوي على الكود المناسب لتكوين المفتاح، ولإرساله إلى دالة فك التشفير لفك النص، وإلى البحث في النص الناتج عن كلمات معروفة في الإنجليزية أو أية لغة أخرى (فالمخابرات الصينية مثلا ستكتب الرسالة باللغة الصينية!!)، وهو الأمر الذي يحتاج إلى وقت ملموس فعليا، سيضاعف الزمن الحقيقي عدة مرات!!

حتى لو افترضنا أن كل مشغل دقيق يعمل بسرعة ٣ مليون جيجا هرتز (وهو خارج التقنية المتاحة حاليا بمراحل) فسيظل ذلك الجهاز يحتاج إلى ١٢٦ سنة لحل شفرة تتكون من ٣٠ حرفا فقط.. من الواضح أن هذا يجعله عديم الفائدة للمخابرات الأمريكية ولا يستحق المليارت التي أنفقتها لبنائه!

وحتى لو افترضنا أن المجرمين وأجهزة المخابرات المعادية غير محتاطين بالدرجة الكافية، واستخدموا مفتاحا للشفرة طوله عشرة مواضع فقط كل منها يقبل ٢٥٦ حرفا مختلفة، فإن ذلك الجهاز المهول الذي اخترعه دان براون سيحتاج في أسوأ الاحتمالات إلى تجربة (٢٥٦ ^ ١٠) احتمالا، وهي تحتاج إلى زمن فلكي، لأن (٢٥٦ ^ ١٠) تساوي تقريبا (١٠ أس ٢٤)!!

لهذا، ولكي يحقق حاسوب دان براون النتائج المرجوة منه، يجب أن يستخدم الأشرار وأجهزة المخابرات المعادية مفتاحا للشفرة طوله ٥ حروف فقط، ففي هذه الحالة يمكن كسر الشفرة في ١٩٢ يوما فحسب.. أظن أنك ــ وأنت لا تملك أي أسرار ــ تستخدم كلمة سر تتكون من ٦ حروف على الأقل!!

آخر سؤال يخص رواية الحصن الرقمي وحاسوبها العبقري: كيف سيعرف جهاز دان براون نوع التشفير المستخدم، ليستخدم المفتاح في فكه؟!!

إن محاولة تجريب عدة خوارزميات مختلفة لفك التشفير، سيضاعف كل الحسابات السابقة عدة أضعاف أخرى!!

لحسن الحظ إذن، أن قراء (دان براون) ليسوا جميعا مبرمجين **J** .

لعلك تدرك الآن فداحة الأرقام التي نتكلم عنها!

إن عمر الكون ــ كما قدّره العلماء ــ هو حوالي ١٥ مليار سنة فقط، وعمر مجموعتنا الشمسية هو ٤,٥ مليار سنة.. أي أنّ عمر الكون يقع في حدود (١٠ أس ١٠) سنة فقط!.. واضح أنّ هذه المليارات من السنين لا تساوى شيئا أمام

جسامة الاحتمالات التي نتكلّم عنها.. إنها لا تكفي حتى لكي يعد الحاسوب ــ مجرد عد ــ من ١ حتى ١٠ أس ٣٠!!

لكنّ الذين يتكلّمون عن الصدفة يستخدمون أسلوبا عاطفيا، استنادا إلى أنّ مليار عام هو رقم مريع بالنسبة لأعمار البشر، لهذا يوهمونهم بأنه كاف لكي تصنع الصدفة كل الكائنات الحية، بينما الحقيقة أن عمر الكون هو مجرد صفر على الشمال بالنسبة للرياضيات التي شرحناها للتو، ولا يكفي لصنع بروتين واحد بالصدفة، بل ولا حتى لمجرد العد من ١ حتى (١٠ أس ٣٠) بسرعة الحاسب الآلي دون صنع أي شيء آخر!!

لاحظ أننا كنا نتكلم عن بروتين واحد متوسط الحجم، بينما هناك بروتينات أطول وأعقد منه بمراحل.. فما بالك إذن لو تكلمنا عن خلية حيّة تحتوي على آلاف البروتينات؟

إن احتمال ظهور خلية واحدة بالصدفة ــ كما حسبه أحد العلماء ــ هو ١ من كلّ (١٠ أس ٤٠ ألف) احتمال!!.. ماذا يا ترى يمكن أن يفعل جهاز دان براون العملاق مع احتمال كهذا؟.. يمكنك أن تقول مطمئنا إنّ هذا الاحتمال يساوي صفرا بلا أدني قلق!

أمّا احتمال أن تترتب ٥٠ تريليون خلية بالصدفة لتشكل الجسد البشري، فهو الجنون بعينه!

(١٠)
برنامج لرسم الموناليزا بالصدفة!

دعنا نتعامل مع القضية كمبرمجين:

افترض أن لدينا شاشة حاسب بأقل دقة ممكنة، وهي ٤٨٠ × ٦٤٠ نقطة.

هذا يعني أنّ هذه الشاشة تحتوي على ٣٠٧٢٠٠ نقطة.

الآن، نريد كتابة برنامج بسيط لرسم الموناليزا عشوائيا على هذه الشاشة!

لن نقول لك إنّنا سنستخدم ٢٥٦ لونا، ولا حتى ١٦ لونا.. بل سنكتفي بالأبيض والأسود فقط.

عليك أن تعرف أنّ بين أن تكون كلّ نقاط الشاشة بيضاء، وأن تكون كلها سوداء، عدد من التباديل يساوي عدد الأرقام الثنائية التي يمكن وضعها في ٣٠٧٢٠٠ خانة، أي:

٢ أس ٣٠٧٢٠٠ = ١٠ أس (٩٢ ألفا)!!

في الواقع لو نجحنا في تجربة كلّ هذه الاحتمالات، فسنحصل بالأبيض والأسود على جميع اللوحات التي رُسمت أو لم ترسم بعد، وجميع صور الأشياء والأشخاص التي نتخيلها أو لا نتخيلها!

لكنّ المشكلة في هذا الأمر، أنّ تجربة هذه الاحتمالات يحتاج إلى عمر يفوق عمر الكون بمليارات مليارات المرات!!

سنفترض أنّ لدينا حاسبا يستطيع رسم كلّ احتمال من هذه الاحتمالات في جزء من مليار جزء من الثانية (وهو مستحيل عمليا بأجهزة اليوم، لكن سنفترضه).. هذا يعني أنه يستطيع أن يرسم في عام واحد:

مليار × ٦٠ ثانية × ٦٠ دقيقة × ٢٤ ساعة × ٣٦٥ يوما = ٢٢١١٨٤٠٠ مليار لوحة في العام، وهو ما يساوي تقريبا: ١٠ أس ١٨.

وهذا يعني أننا نحتاج لكي نرسم كلّ اللوحات الممكنة، إلى عدد من الأعوام يساوي: ١٠ أس (٩٢ ألف) / ١٠ أس ١٨

أنت تعرف من الرياضيات أن قسمة الأساسات طرح للأسس.. في الواقع، طرح ١٨ من ٩٢ ألفا لا معنى له!

دعنا نفترض أنّنا نستخدم مليار حاسب (١٠ أس ٩).. هذا سيعطينا (١٠ أس ١٨) × (١٠ أس ٩) = ١٠ أس ٢٧ لوحة في العام.

ما زال الرقم تافها!

دعنا نفترض أنّ هناك مليار كوكب مثل الأرض على كلّ منها مليار حاسب تشارك في العملية.. هذا سيرفع العدد إلى (١٠ أس ٣٦) لوحة في العام!

ما زال الرقم تافها!!

هذا سيعني أننا نحتاج في سبيل رسم كلّ اللوحات إلى زمن يساوي:

١٠ أس (٩٢ ألفا - ٣٦) من السنوات!!

أيّ حوالي مليار مضروبا في نفسه ١٠ آلاف مرّة من السنوات!!

أما لو حاولنا رسم صور ملونة باستخدام ٢٥٦ لونا فقط، فسنحتاج في سبيل رسم كلّ اللوحات إلى زمن يساوي:

٢٥٦ أس ٣٠٧٢٠٠ = ١٠ أس ٧٣٩٨١١ أو تقريبا ١٠ أس ٧٠٠٠٠٠!!

أي أنه يساوي الرقم ١ موضوعا على يساره ٧٠٠ ألف صفر!

طيب: حتى لا يظنّ البعض أنّ ٤٨٠ × ٦٤٠ هي أبعاد كبيرة للشاشة، دعنا نفترض أنّ دقة الشاشة هي ٨٠ × ٨٠ نقطة فقط!.. هذا سيجعلنا ننتظر ١٠ أس ٢٠٠٠ من السنوات!!

فلنقلص الشاشة إذن إلى: ٢٠ × ٢٠ نقطة، أي حوالي ٥% فقط من أبعاد شاشة الحاسب العادية، أي شاشة قطرها أقلّ من بوصة!!.. طبعا هذا غير كاف لرسم لوحة واضحة المعالم والتفاصيل، لكن سنفرضه!!.. هذا يعني ٢ أس ٤٠٠ = ١٠ أس ١٢٠، وهو ما يحتاج إلى أكثر من (١٠ أس ٨٠) عاما لتجربتها، أي مليار مليار مليار مليار مليار مليار مليار مليار مليار سنة!!

طيب.. سنفترض أنّ لكلّ لوحة مليار نسخة مقاربة، ناتجة عن اختلاف مواضع بعض النقاط، بحيث يمكن مطابقتها بالصورة الحقيقيّة باختلافات طفيفة.. هذا مستحيل مع لوحة حجمها ٢٠×٢٠ نقطة لكن سنفرضه!!.. هذا لن يغيّر شيئا يذكر في الأرقام المذكورة!!.. سننتظر ١٠ أس ٧١ عاما، بدلا من ١٠ أس ٨٠ عاما!!

فليكن: دعنا نكن أسخياء، ونفترض أنّ لكلّ لوحة مليار مليار احتمال.. هذا سيجعلنا ننتظر ١٠ أس ٦٢ عاما!!

حسنا.. دعنا نكن عمليين ونجرب.. لقد رأينا كيف نكتب البيانات في صورة Bmp بالأبيض والأسود في الفصل ٢٥.. عدل الجزء الخاص بكتابة بيانات الصورة ليرسم في الصورة نقاطا عشوائية كالتالي:

كتابة النقاط '

```
Dim Buf As New BitBuffer(Bmp, CByte(255))
Randomize( )
For Y As Integer = 0 To ImgHight - 1
    Dim Y1 As Integer = Int(Y * W / L)
    For X As Integer = 0 To ImgWidth - 1
        If Rnd( ) < 0.5 Then
           Buf.Add(0)
        Else
           Buf.Add(1)
        End If
```

```
    Next
    If Buf.Possition > 0 Then Buf.Flush( )
    If PadZeros > 0 Then Bmp.Write(RowEnd, 0, PadZeros)
Next
Bmp.Close( )
```

ويمكنك أن تضع كود كتابة هذه الصور العشوائية في دالة، وترسل إليها اسم الملف الذي تريد حفظ الصورة فيه، وتستدعيها لأي عدد تشاء من المرات وتنظر كيف ستكون النتائج.

الآن علينا أن نسأل:

لو شغلنا برنامجنا العشوائي لرسم اللوحات بدون توقف (بافتراض أنه لن يكرر أيّة لوحة وهذا لن يحدث)، فما هو احتمال أن نحصل على اللوحات الموجودة في متحف اللوفر بفرنسا؟!.. أو حتى على لوحة الموناليزا فقط؟

وماذا سيكون رأي دافنشي لو قال له أحد إن الموناليزا يمكن رسمها ببرنامج حاسب عشوائي تافه؟!

لو جربت البرنامج السابق، فلن تحصل إلا على فوضى من النقاط البيضاء والسوداء.

ملحوظة:

ستجد في أمثلة هذا الفصل برنامجا اسمه Maze، وهو برنامج يساعد إنسانا آليا على حل متاهة تتكون من ٢٠×٢٠ خانة.. كود هذا البرنامج وشرحه الكامل موجودان في مرجع "برمجة الويندوز"، ولكني أضعه لك هنا لتجرب ضغط الزر "متاهة عشوائية".. هذا الزر يرسم الصورة الصغيرة التي تكلمنا عنها هنا

بتلوين الخانات عشوائيا بالأبيض والأسود.. جرب كما يحلو لك، وانظر هل ستحصل على كلمات أو صور لها معنى أم لا!

لاحظ أننا تحكمنا في عشوائية الأبيض والأسود، بحيث تكون النقاط السوداء أقل من ثلث النقاط البيضاء، ليجد الإنسان الآلي طرقا يمشي فيها (لأن البرنامج يعتبر الخانة السوداء عائقا).

لاحظ أنك لا تستطيع فعليا كتابة البرنامج الذي يحفظ الصور العشوائية في ملفات، لأنك لو فعلت هذا فستستهلك كل مساحة القرص الصلب قبل أن تحصى من الاحتمالات عددا ملموسا!

طيب: دعونا نقل التالي لإخوان داروين:

عدد أنواع الأحياء على سطح الأرض يقدّر بنحو ٤,٥ مليون نوع.. ما هو احتمال أن نحصل على مجرّد لوحات مسطحة بالأبيض والأسود لأيّ من هذه الأحياء، لو شغلنا برنامجنا للرسم العشوائي؟!

هذا الاحتمال سيساوي ٤,٥ مليون / (١٠ أس ١٢٠) = ١ / (١٠ أس ١١٣)!!!

دعنا نفترض أنّ لكلّ لوحة مليار مليار نسخة مقاربة.. هذا سيجعل الاحتمال ١ / (١٠ أس ٩٦)!!

أعتقد أنّ كمّ الاستحالات التي تريها لنا الأرقام، يظهر عبثية من يؤمنون بالصدفة المبدعة!

هذا ونحن نتكلّم عن لوحة بحجم صغير (٢٠ نقطة × ٢٠ نقطة) وثنائيّة البعد (مسطحة) بالأبيض والأسود فقط!

فما بالنا عندما نتكلم عن مجسمات ثلاثية البعد؟!

وما بالنا لو لم تكن هذه المجسمات مجرّد رسوم، بل كائنات حيّة من لحم ودم تحمل تركيبا تقنيا معقدا، يستغرق الكلام عنه آلاف المجلدات من حصيلة بحوث العلماء عبر القرون؟!

أريد عاقلا يشرح لي: عن أيّ صدفة نتحدّث بالضبط؟!

من كل الحسابات السابقة نصل إلى هذه الاستنتاجات:

١- فكرة رسم كل الصور عشوائيا فكرة مستحيلة عمليا، حتى لو كانت صورا مصغرة بالأبيض والأسود فقط.

٢- الصدفة والتجريب العشوائي، غير قادرين عمليا على ابتكار أي شيء.. وكما لا يمكن بأي حال أن يرسم السحاب لوحة الموناليزا على صفحة السماء، أو ترسمها الرياح على رمال الصحراء، فإنه لا يمكن بأي حال أن يكون هذا الكون وهذه المخلوقات قد ظهرت للوجود بدون تخطيط وتدبير من لدن حكيم خبير، خالق كل شيء، بديع السماوات والأرض، سبحانه وتعالى عما يشركون.

٣- علينا الآن أن نزداد إعجابا وتقديرا بكل موهوب رسم لنا لوحة جميلة، أو أبدع لنا قصة مبتكرة، فمن حسابات الصدفة التي رأيناها، يتضح لنا تماما أن هؤلاء المبدعين قد وفروا على البشرية أعمارا هائلة من التجريب العبثي في محيط هائل من القبح والفوضى والعشوائية للحصول على بعض اللوحات أو الكلمات الجميلة!

٤- هناك إعجاز حقيقي في امتلاك الإنسان للخيال والابتكار والإبداع، وهو عائق سيظل يعجز أمامه كل من يحاولون صنع إنسان آلي ذي ذكاء صناعي، فالإرادة والمشاعر والخيال والابتكار والإبداع كلها أمور غير خاضعة لمعادلات رياضية، وفكرة برمجة إنسان آلي رسام يجرب كل

احتمالات الصور ليحصل على لوحة مبدعة ستجعله يقف مشلولا أمام لوحة بيضاء إلى يوم القيامة!

إننا نتكلم عن إبداع مذهل للخالق سبحانه، الذي منح الإنسان الخيال، والمشاعر التي تعمل كالمرشح لهذه الخيالات فيما نسميه باسم الذوق، والحواس التي تلتقط جمال الكون وجمال المخلوقات لتستقي منها أجمل الإبداعات.. فكيف لإنسان آلي أن يصل إلى هذا مهما احتوى من برمجيات؟

هذا يرد على فكرة فيلم IRobot، فالفيلم يتصور أن بعض الأخطاء العشوائية في برمجة أحد الروبوات ولدت لديه الإحساس والإرادة والذكاء!.. لكن كما رأينا: الصدفة والعشوائية لا توصلان إلى أي شيء على الإطلاق!

(١١)

برنامج لتوليد الكلمات والجمل بالصدفة

شرحت ضمن أمثلة كتاب "من الصفر إلى الاحتراف: برمجة إطـــار العمـــل"، مشروعا اسمه RandomStrings يريك كيف تولد ١٠٠ نص عشوائي بأطوال عشوائية تقع بين ٣ حروف و٣٠ حرفا. (ستجده مرفقا بهذا الكتاب).

لاحظ أن الاستمرار في ضغط الزر سيولد في كل مرة ١٠٠ نـــص عشـــوائي جديد.. يمكنك أن تجرب ضغط الزر لأي عدد تريده من المرات وتـــرى كـــم ستنتظر إلى أن تحصل بهذه الطريقة على جملة واحدة مفيدة.. هذا تدريب جيد لمن يتوهمون أن صدفة بلا عقل يمكنها أن تفعل المستحيل **J**.. هـــذا ونحـــن

نتعامل هنا مع صدفة شبه موجهة، فهذه الصدفة لم تعمل من تلقاء نفسها، بل كان وراءها عشرات الآلاف من السنوات من الفكر البشري، الذي اكتشف العلوم وصنع الحاسب وكتب نظام تشغيل الويندوز ولغة البرمجة VB.NET التي كتبنا بها هذا الكود، ووراءها أيضا البرنامج الذي يولد الصدفة، وأنا وما أنفقته من عمري في التعلم والتفكير لكي أكتبه، والمستخدم الذي يضغط زر البرنامج لكي يطلق الصدفة التي تولد النصوص العشوائية!.. لكن رغم كل هذه الدوافع وكل هذا التخطيط لإنتاج هذه الصدفة المدبرة والموجهة، لا أحد يتوقع أن يحصل منها على أي كلام له معنى!!.. فما بالك إذن بالعباقرة الذين يتحدثون عن صدفة أوجدت الكون من العدم، دون أن يدري أحد أصلا كيف يمكن أن تحدث مثل هذه الصدفة في العدم!!

إن عالم البرمجة مليء بالحقائق التي تجعلك توقن بما لا يدع مجالا للشك بأن هذا الكون مدبر ومخطط بأعلى مستوى من الإبداع، ولا مكان فيه لأية صدفة أو عشوائية.. ستفهم هذا جيدا إذا علمت أننا ما زلنا عاجزين حتى الآن عن محاكاة قدرة المخ البشري برمجيا، لفهم اللغات البشرية والترجمة الآلية وتمييز الموجودات في الصور والفيديو بدقة عالية.. في الحقيقة لا أحد حتى هذه اللحظة يعرف كيف يختزن المخ كل ذلك الكم الهائل من المعلومات، ولا كيف يقوم بكل تلك العمليات المذهلة لمعالجتها وبسرعات قياسية.. ونحن ما زلنا بانتظار العلماء الذين يدرسون المخ البشري ليخبرونا ببعض أسرار البرمجة الإلهية المعجزة.

(١٣)
التدخل البشري لهندسة أول صبغ وراثي صناعي

أعلن علماء أمريكيون يوم ٢٠ مايو ٢٠١٠ أنهم أنتجوا أول خلية حية!
طبعا من المخزي أن يُنشر الخبر بهذا العنوان، وأن تنقله قناة كالجزيرة بهذه الصيغة!

فما حدث، هو أن هؤلاء العلماء أخذوا نظام التشغيل الإلهي DNA من إحدى أنواع البكتريا الصغيرة، ووضعوه على الحاسوب، وصنفوا الجينات الموجودة عليه، ثم تلاعبوا بترتيب بعضها لإنتاج شفرة وراثة مختلفة بعض الشيء، ونقلوا هذه الشفرة إلى بكتريا حية بعد تفريغ نواتها من الحمض النووي الأصلي الخاص بها.. وبعد تجارب ومحاولات مضنية بدأت هذه البكتريا في التكاثر لإنتاج هذا الكائن الذي غيروا جزءا من تركيبه الوراثي.

هذه العملية تؤكد عدة أمور:

١- لا دور لأي صدفة أو عشوائية هنا.. لقد بدأت التجربة بحمض نووي معروف، قام بدراسته وتحليله علماء أفنوا عمرهم في قراءة خريطة الجينوم تحت قيادة رائد الخرائط الجينية البشرية كريغ فنتر، واستخدموا الحاسوب في عملهم، للوصول إلى ترتيب منطقي للجينات في نطاق فهمهم.. هذا يؤكد أن أي تغيير في الحمض النووي يجب أن يكون وراءه عقل واعٍ وتقنية متقدمة وسنوات من البحث، وتجريب طويل مدروس للتعلم من الأخطاء وتلافيها.. كل هذا لا يمكن أن يتوافر لأي صدفة عمياء!

٢- لم ينتج الإنسان خلية حية، لكنه نجح في إنتاج أول صبغ (كروموزوم) شبه صناعي، واستخدم الخلايا الحية في ترجمة شفرته للحصول على

نوع شبه جديد.. هذا يؤكد لنا من جديد أن الحياة لا تنشأ إلا من الحياة، وأن الإنسان ما زال عاجزا حتى اليوم عن صناعة بروتين واحد ميت بدون الاستعانة بالخلية الحية.

٣- يصف فنتر ما حدث، بأننا حصلنا على كائن حي جديد والده الكمبيوتر.. في الحقيقة هناك تساؤلات كثيرة عن السمات المميزة لهذا الكائن الذي حصلوا عليه، والتي تجعله يختلف عن ٩ مليون نوع من المخلوقات التي يقدر وجودها على ظهر الأرض.. هل الاختلاف محدود عن النوع الأصلي الذي تم التلاعب به، مما يجعل النوع الناتج مجرد فصيلة منه كما يحدث في التغيرات الوراثية؟.. هل النوع الجديد يشبه أيا من الأنواع المعروفة الموجودة؟.. أم أن هذا النوع جديد فعلا ومميز؟.. وما هي قدراته الجديدة؟. هل هو ضار بالنبات أو الحيوان أو الإنسان؟.. هل سيلتهم اللحم أو البلاستيك أو الحديد؟.. هذه مخاوف مرعبة تركها لنا كتاب الخيال العلمي كتحذير في رواياتهم عبر نصف القرن الماضي، وللأسف يبدو أن أحدا لا يستمع إلى هذه التحذيرات.. إن محاولات فنتر ومن معه لإنتاج الأمصال أو الوقود الحيوي بهذه الطريقة قد تنتج الفيروس الذي يقصي على البشرية أو يدمر الحضارة، لأن فهمنا لخريطة الجينوم ما زال ناقصا ومحدودا حتى اليوم!

٤- كما أكدنا في أول هذا الموضوع: الإنسان يتعلم من خطة الخلق التي أبدعها الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته وبرمجها على أنظمة تشغيلها الوراثية.. إن أول مهندس وراثي موجود على ظهر الأرض منذ مليارات السنين، هو الفيروس، الذي يحقن مادته الوراثية في الخلايا التي يصيبها ليجعلها تعيد إنتاجه، فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي يتكاثر بها.. ولقد اقتبس الإنسان هذه التقنية في عملية الاستنساخ، واقتبسها

اليوم مرة أخرى لهندسة صبغيات وراثية وحقنها في البكتريا لجعلها تنتج كائنات أخرى.. يمكننا أن نقول اليوم بفخر: إن علم الإنسان تطور أخيرا إلى أن نجح في تقليد الفيروسات **J**.. وكما قلت سابقا: إن كل علماء الأرض أعجز من أن يكتبوا الشفرة الوراثية التي تحرك جناح بعوضة، وكل ما يعملون في نطاقه إلى الآن، هو التلاعب بشفرات موجودة فعلا ولمخلوقات حية مجهرية.

بالمناسبة: لا أحب تسمية البكتريا بالمخلوقات البدائية، فهي لا تقل إبداعا عن المخلوقات الأخرى.. بل إن الإنسان في مسرته التقنية يبدأ بالأضخم (كالحواسيب العملاقة) ثم يطوره إلى أن يصير أصغر (كالحواسيب الكفية المحمولة، وإرهاصات تقنية النانو).

في الحقيقة، وجود خلية واحدة تقوم بكل العمليات الحيوية التي تقوم بها باقي المخلوقات التي تتركب من تريليونات الخلايا، وتستطيع أن تحافظ على بقائها سلالتها إلى اليوم، هو إبداع يثير الذهول.. لكن أدعياء نظرية التطور يجب أن يحقوا من شأن هذه المخلوقات البديعة، لكي يوهمونا بتطورهم المزعوم!

(١٣)
إنتاج البشر

تأمّل قوله تعالى في سورة لقمان:

(مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ {٢٨})

في ضوء المعلومات الوراثية الحديثة، نكتشف أنّ كلّ البشر هم في الحقيقة قالب واحد، لكنّه يختلف فقط في بعض الخصائص الوراثية المخزنة على شريط DNA.. الآن أصبحنا نفهم أنّ كلّ المطلوب لبعث البشر جميعا هو المواد الأولية اللازمة لبناء أجسادهم (متوفرة في التربة)، والشفرة الوراثية التي تحوي سماتهم (محفوظة في علم الله)، وآلية لترجمة الشفرة الوراثية لإعادة بناء الجسم من عناصره الأولية (وهي عملية سهلة، فهي مجرّد إعادة لعملية الخلق التي حدثت من قبل بالفعل!.. أليست إعادة الشيء أسهل من بنائه؟).

ألا يوضّح لنا هذا كيف أن خلق وبعث كلّ البشر هو مجرّد تكرار لعملية خلق وبعث نفس واحدة؟.. فكّر في خطوط إنتاج المصانع، أو في تعريف نسخ من نفس الفئة Class في البرمجة مع تغيير بعض خصائص كل كائن Object تم تعريفه ليختلف عن الآخر، ولله المثل الأعلى.

الملفت للنظر، أنّ الآية السابقة لهذه الآية مباشرة، هي قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٢٧})

لا داعي للكلام عن كلّ نعم الله التي لا تحصى.. فكّر فقط في المعلومات الموجودة على شريط DNA الخاص بالبشر، والذي يحوي ما يعادل نصف

مليون صفحة من المعلومات، تضم ثلاثة بلايين شفرة مختلفة.. فإذا دوَّنا كل المعلومات الموجودة في جزيء (د ن أ) واحد على الورق، فسيمتد هذا الورق من القطب الشمالي إلى خط الاستواء!!.. وهو ما يوازي نحو ١٠٠٠٠ مجلد، صالحة لملء مكتبة كبيرة.. وإذا شرع شخص ما في قراءة شفرة (د ن أ) واحدة كل ثانية دون توقف، طوال اليوم وكل يوم، فسيستغرق ذلك منه ١٠٠ سنة!!.. هذا يؤكد لك طبعا أنك لن تحصي نعم الله عليك، لأنك قبل حتى أن تنهي مجرد قراءة معلوماتك الوراثية التي تجعلك تحيا وتتميز عن غيرك، فسيكون عمرك قد انقضى!!.. سبحان الله.. لهذا استغرق مشروع الجينوم البشري ــ الذي اضطلع به أسطول من أساطين العلماء والباحثين من عدة دول متقدمة ــ عشر سنوات كاملة لتدوين هذه البيانات!

هذا عن شفرات شريط واحد.. فما رأيك إذن أن نبحث في عدد احتمالات تباديل وتوافيق هذه المعلومات، لتكوين أشرطة DNA مختلفة عن بعضها (بمعنى آخر: بشر يختلفون عن بعضهم)؟

كما ذكرنا من قبل، فإنّ معلومات الحمض النووي تتكوّن من ٤ حروف مختلفة (٤ مركبات كيميائية) تتراص في كلمات طول كلّ كلمة منها ٣ حروف.. هذا يعطينا (٤ أس ٣) أي ٦٤ كلمة مختلفة.. هذه الكلمات هي الشفرات الوراثية.

وهناك حوالي ٣ مليارات موضع للشفرات على شريط DNA (قرأت في مصدر آخر أنها ٨ مليارات موضع.. لكن دعنا نأخذ الرقم الأصغر ونرى).. ويأخذ كلّ موضع من هذه المواضع أيّ شفرة محتملة من بين الشفرات الـ ٦٤ المختلفة.. معنى هذا أنّ عدد نسخ DNA المختلفة التي يمكن الحصول عليها تساوي (٦٤ أس ٣ مليار) أي حوالي (١٠ أس ٥ مليار).

حاول أن تتخيّل الرقم واحد وعلى يمينه ٥ مليار صفر.. هذا رقم لا يمكن حتى مجرد تخيّله!

هل تعتقد أنّ كل أشجار الأرض ــ لو استخدمت كأقلام ــ وكل قطرة من مــاء البحار والمحيطات ــ لو استُخدمت كحبر ــ تكفي لكتابة كلّ أنماط البشر الذين يمكن الحصول عليهم من التغييرات الممكنة في معلومــات الحمــض النــووي DNA؟

هذا ونحن نتكلّم عن البشر فقط.. لكن ماذا عن باقي ٤,٥ مليون نوع من أنواع الكائنات المختلفة على سطح الأرض، والتي تختلــف فــي عــدد صــبغياتها وأحماضها الوراثية أصلا؟

وصولنا إلى هذه النقطة، يلفت نظرنا إلى حقيقة هامة: وهي أنّ عــدد البشــر المميزين والمتفردين الناتج عن هذه التباديل، لن يكون بالضــبط ذلــك الــرقم المهول الذي حصلنا عليه، لأنّ بعض الاختلافات لن تجعل الشخص متميــزا.. أيضا ليست كلّ الاحتمالات مقبولة، لأن بعضها سينتج أشخاصا مشــوهين، أو يحملون سمات غير بشرية، أو سمات تؤدي إلى إعاقتهم عــن الحيــاة وقــتلهم أصلا.

فكم يا ترى عدد النسخ الصحيحة الممكنة من وسط كلّ هذه الاحتمالات الهائلة؟ طبعا هذا العدد في علم الله، ولكن يمكننا أن نقول إنّ عدد البشر عبر التــاريخ يقع في نطاق مليون مليار، أي ١٥ صفرا على يمين الواحد.. هذا بافتراض أن التاريخ البشري يمتد إلى مليون عام، وأن هناك مليار شخص يولدون كل عــام وهو احتمال مبالغ فيه إلى أقصى درجة!

بل افترض حتى أنّ عدد البشر منذ بداية التاريخ يقع في نطاق ٢٠ صفرا على يمين الواحد.. ثلاثين صفرا.. مئة صفر حتى.. هل يوجد وجه مقارنة بين عدد يحتوي على ١٠٠ صفر على اليمين، وعدد يحتوي على ٥ مليار صفر علــى اليمين؟

هذا يجعلنا نفهم أنّ نشوء البشر بالصدفة هو أمر مستحيل، فاحتمالات تشوّههم أو موتهم نتيجة الترتيب العشوائي الخاطئ للمعلومات الوراثية هي احتمالات واسعة للغاية.. وكما يقول أحد الأطباء: إنّ كلّ طفل يولد صحيحا بدون نقص أو تشوّه هو معجزة في حدّ ذاته.. لكنّ هذه المعجزة تحدث وتتكرّر يوميا آلاف المرات.. فعن أيّ صدفة نتكلّم؟

وما دمنا قد وصلنا إلى هذه المنطقة، فلنتأمل قليلا هذا المشهد المهيب:

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {١٧٢} أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ {١٧٣}) الأعراف.

والآن فلنسأل أنفسنا: كيف يمكن أن يجمع الله البشر جميعا ويشهدهم على أنفسهم؟

بالنسبة للمؤمنين، هذا سهل الحدوث على مستوى الأرواح.. لكن افترض أننا نجادل غير المؤمنين هنا.. دعنا نقول لهم إن الآية تتكلّم بوضوح عن النسل البشري جسديا.. عن أخذ الذرية من ظهور بني آدم **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)**.. إذن فمن المنطقيّ أن نتكلّم ها هنا عن الأجساد أيضا، وليس الأرواح فقط.

والسؤال الآن: كيف ينشئ الله كلّ البشر دفعة واحدة، مع العلم أن هذا يتطلّب معرفة الآباء والأمهات أولا ليمكن معرفة سمات الأبناء الناتجين؟

بالنسبة لمن يؤمن بعلم الله المطلق ومعرفته بالغيب، يؤمن أنه من اليسير عليه سبحانه أن يعلم الشجرة البشرية كاملة منذ آدم وحواء إلى يوم القيامة.

لكن أيضا حتى لا نخذل أصدقائنا إياهم، دعنا ننظر للمسألة بصيغة أخرى:

لماذا تجب معرفة الشجرة البشرية كاملة؟.. لماذا لا ننظر للموضوع خطّيا Linearly.. فبدلا من تخيّل الشجرة البشرية بكلّ علاقات التزاوج والأبوة والبنوة فيها، لماذا لا يتمّ مباشرة إنتاج كلّ احتمالات شريط DNA المقبولة التي تنشئ بشرا؟

كما قلنا من قبل، كلّ المطلوب هو شفرة وراثية، ومواد أولية، وخطّ إنتاج لتنفيذ كلّ شفرة إلى منتج بشري (بالنسبة للتقنية الإلهية، فهي أرقى تقنية شهدها الكون: كن فيكون).

وبهذه الطريقة المباشرة يقف البشر جميعا في صعيد واحد أمام خالقهم دون الحاجة إلى أن يعرفوا آباءهم وأمهاتهم، ليشهدهم الله سبحانه على أنفسهم وعلى ألوهيته.. ثمّ ينسون جميعا هذا المشهد كخبرة تحفظها الذاكرة، لكن يظلّ في داخلهم كشعور فطري، وسؤال يبدأ مع كلّ طفل صغير يسأل أبويه: من أين جئتُ، وأين كنتُ قبل أن أجيء، وأين يذهب من يموت؟

أخيرا، في ضوء كلّ ما ناقشناه عن عدد البشر المختلفين المحتملين، يجدر بي أن أسألك:

هل تتعجّب من عدم تطابق بصمات الأصابع لأي اثنين عبر كلّ البشرية منذ نشأت؟.. في الحقيقة لا يقتصر الأمر على بصمات الأصابع فقط، فهو يشمل كذلك بصمة قزحية العين، وبصمة الأذن، وغير ذلك.

هل تستغرب أنه لم ولن يوجد بشريان متطابقان في سِماتهما الجسدية تمام التطابق؟

تذكّر أننا نأخذ نسخ البشر من بين (١٠ أس ٥ مليار) احتمال مختلف.. حتى مع استبعاد احتمالات DNA الفاسدة التي لا تعطي بشرا أحياء أو أسوياء، فستظلّ الأرقام مذهلة.. لا تنسَ أننا نتكلّم عن ٥ مليار صفر على يمين الواحد.. ما

الذي سيختلف لو أنقصت عدد هذه الأصفار لتصل إلى مليون صفر؟.. بل إلى ألف صفر حتى؟.. ما زلنا نتكلّم عن أرقام خارج الحدود الفلكية نفسها!

ملحوظة:

يقول سبحانه عن بعث الإنسان في سورة القيامة:

(أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ {٣} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ {٤})

والبنان هو طرف الإصبع، وهو موضع البصمة.. فالله سبحانه وتعالى يتحدى الكفار بأنه سيحييهم يوم القيامة، وسيعيدهم طبق الأصل بأدق تفاصيلهم، بما في ذلك بصماتهم.. وكما صار مفهوما لدينا الآن، فإن هذا لا يحتاج إلا إلى حفظ نسخة واحدة فقط من الحمض النووي الخاص بكل إنسان!

قد يقول قائل: لكنّ بصمات الأصابع لا تنشأ عن الثماني مليارات شفرة كاملة، لتتكلم عن كلّ هذه الأرقام!

حسنا.. في الحقيقة أنا لا أعرف عدد الشفرات المسئولة عن تكوين البصمات، لكن لو افترضنا أنه من بين ٨ مليارات شفرة على شريط DNA، كان عدد الشفرات المسئولة عن تكوين بصمة الأصابع ٣٠ شفرة فقط، لكان معنى هذا أنّ لدينا (٦٤ أس ٣٠) بصمة مختلفة ممكنة، أيّ حوالي ١٠ أس ٥٤ بصمة مختلفة، وهو عدد هائل بما يفوق الوصف، يكفي لوجود مليار مليار مليار مليار مليار إنسان ببصمات أصابع مختلفة!

حقّا: سبحان الله العظيم:

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٢٧} مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ {٢٨}) لقمان.

(١٤)
البعث والحساب، علميا

والآن.. ما الغريب في الكلام التالي:

- سنحتفظ بنسخة واحدة من الحمض النووي لكلّ إنسان.. وهذا الاحتفاظ لا يجب أن يكون حيويا، إذ يمكن أن يتمّ عن طريق حفظ معلومات DNA على وسيط الكتروني كأسطوانة ضوئية مثلا!.. لكن حتى لو أردنا الاحتفاظ بالمعلومات الوراثية ماديا فالأمر ممكن، فكما ذكرنا من قبل، فإن مجموع أوزان المادة الوراثية لستة مليارات إنسان هم تعداد سكان العالم حاليا، لا يزيد عن ٣ من المئة من الجرام!.. ألا يكشف هذا عن أن الاحتفاظ بنسخة وراثية من البشرية من أولها إلى آخرها لا يحتاج إلى أكثر من صندوق صغير؟!
- سنسجل فيلم فيديو لتصرفات كلّ إنسان، بحيث تكون حجّة عليه، ونريها له بالصوت والصورة لو أنكرها.
- لا يقل لي أحد كيف سنراقب كلّ إنسان.. سنخصّص له قمرا صناعيا يراقبه من الفضاء عبر كلّ الحواجز!
- الآن لدينا السجل الوراثي لكلّ إنسان ونستطيع استنساخ نسخة منه (مثلما تمّ استنساخ النعجة دوللي).. كما أنّ لدينا سجلَّ أفعاله، الذي نستطيع شحن ذاكرته به من جديد.. على الأقلّ عن طريق جعله يشاهده مرّة أخرى!

لعلّكم تلاحظون أنّني لا أتكلم عن أيّة غيبيات.. أنا أتكلم عن معلومات علمية معروفة فعلا في عصرنا الحالي، بعلمنا المحدود القاصر الذي ما زال يتطوّر!

فما بالكم إذن بعلم الله سبحانه وتعالى خالق الكون وخالق الإنسان، والذي أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؟

أريد أن أعرف الآن كيف يستسهل البعض نفي البعث والحساب، وقد صارا بالفعل حقائق علمية؟!

وقد ردّ القرآن الكريم على تساؤل الكفار عن كيفية استعادة الجسد بعد أن تلتهمه الأرض.. يقول سبحانه:

(بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ {٢} أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ {٣} قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ {٤}) سورة ق.

صدقت يا رب.. كتاب حفيظ يحتوي على نصف مليون صفحة بحجم صفحات دليل الهاتف من المعلومات الوراثية.. هذا الكتاب المهول مخزن على شريط DNA واحد ضمن ٤٦ زوج من الأشرطة في نواة خلية لا ترى بالعين المجردة!

ورغم أنّ الكفار لم يكونوا يعرفون شيئا عن هذه المعلومات، حيث كانوا يجهلون كل شيء عن تكوين الجنين والمادة الوراثية، إلا أن القرآن لم يترك لهم عذرا.. انظر للبساطة وقوّة المنطق في قوله تعالى:

(اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {١١}) الروم.

شيء منطقيّ جدا: الإعادة أسهل من البدء..وهذه الحقيقة تكرّرت مرات عديدة عبر آيات القرآن.. انظر لقوله تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٢٧}) الروم.

لكن الكفار صموا آذانهم وعقولهم عنها.. فهل بقيت لهم حجة بعد هذه الآية:

(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ {٧٧} وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {٧٨} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {٧٩}) سورة يس.

وفي الآية إشارة إلى ذلك الكافر الذي فرك عظاما ميتة بين يديه متحديا الرسول أن يعود صاحبها إلى الحياة يوما، فتذكره الآية الكريمة أنّه مخلوق من نطفة.. لم يكن ليختلف شيء لو فرك المنيّ بين أصابعه كما فرك العظام البالية، ففي كلتا الحالتين هو لم يعرف كيف جاء من هذه ليعرف كيف سيبعث من تلك!.. فأيّ منطق وأيّ حجّة يدّعيها، وهو أساسا لا يعرف ماذا كان قبل أن يجيء ليتحدّى أين سيكون بعد أن يذهب؟

لقد كان الأمر واضحا وبسيطا منذ البداية.. مولد الحياة من أرض ميتة، ومن أرحام الأمهات هو معجزة حقيقية تتكرّر كلّ يوم ملايين المرات بمرأى ومسمع من الناس.. لكن يبدو أنّهم فقدوا القدرة على التمييز والإحساس من فرط الاعتياد!

فلماذا كان على البعض أن ينتظر ١٤٠٠ عام حتى يثبت له العلم كلّ هذه الحقائق؟

بل ولماذا يصرّ البعض على أن ينتظر سنوات أخرى إلى أن يثبت العلم كلّ ما هو مكلّف بالإيمان به غيبا؟.. أيجب أن ينتظر لقاء تلفزيونيا مع الجنّ والملائكة ليؤمن بوجودهما؟.. وأليس حديثه عبر المحمول من خلال الأقمار الصناعية مع رجل في قارة أخرى، أكثر إبهارا من السحر وخوارق الجن؟

(١٥)
لكن.. لماذا يكفرون؟

المشكلة لا تكمن في الأدلّة.. المشكلة تكمن هنا:

(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ {١١١}) الأنعام.

هناك نوع من العناد الأعمى، يجعل مثل هؤلاء يرفضون الاعتراف بالحقيقة، حتى ولو رأوها أمام أنظارهم.. انظروا مثلا لما حدث عندما طلبت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يشقّ القمر.. لقد رأوه منشقا فعلا.. فماذا كان ردّ فعلهم؟.. ادعوا أنّ محمدا سحر عيونهم!!.. يقول الله سبحانه:

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ {١} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {٢} وَكَذَّبُوا وَاتبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ {٣} وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ {٤} حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ {٥}) القمر.

وهكذا نرى أن نفس الأدلة والمعجزات التي دفعت الصحابة والتابعين لتصديق الرسول، رآها الكفار ولم يؤمنوا بها!.. وهذا يعني أن من السهل على أي منكر أن يدّعي أن أي دليل غير كاف بالنسبة له.. تماما كما نفى الكفار انشقاق القمر وقد رأوه بأعينهم!.. بل وأكّد لهم ذلك القادمون من القبائل البعيدة، التي لا يمكن أن يكون محمد قد سحر أعينهم!

لقد نسف كفّار قريش حياد حواسهم ليرفضوا ما رأوا.. نسفوه مع أنّ هذا يجعل العميان أفضل منهم، فالمفروض ألا يثقوا بأبصارهم بعد هذا أن يكون كلّ ما يرونه سحرا!!

هذا الموقف تكرّر كثيرا، بصور كلّها تشير إلى نفس العناد الأعمى.. انظر مثلا إلى موقف القوم من سيدنا إبراهيم عليه السلام:

(وَتَاللَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ {٥٧} فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ {٥٨} قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ {٥٩} قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ {٦٠} قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ {٦١} قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ {٦٢} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ {٦٣} فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ {٦٤} ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ {٦٥} قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ {٦٦} أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه أَفَلَا تَعْقِلُونَ {٦٧} قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ {٦٨} قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ {٦٩} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ {٧٠}) الأنبياء.

وهكذا ترى أنهم بدلا من أن يكفروا بحجارة حطمها بشر دون أن تدافع عن نفسها أو تملك لنفسها نفعا، ودون أن يستطيع أكبرها النطق لإخبارهم بالفاعل، تجد نفس العناد الأعمى يدفعهم إلى إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار!.. وحتى بعد أن خرج منها سليما أمام أعينهم ظلّ أكثرهم كافرين!

أليس هذا بالضبط هو نفس موقف فرعون:

(قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى {٦٥} قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى {٦٦} فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى {٦٧} قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى {٦٨} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى {٦٩} فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى {٧٠} قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ

وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى {٧١} قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {٧٢} إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {٧٣}) طه.

رأى فرعون المعجزة بأمّ عينه، وشهد خبراء السحر المعتمدون لديه بأنها معجزة، وآمنوا بالله أمامه رغم تهديده لهم ورغم ما مناهم به سابقا من الأموال والزلفى والحظوة لديه.. ولكنّ كبرياءه الزائفة دفعته إلى قول مضحك للغاية: **(آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ)!**

وعناده الأعمى دفعه إلى نفس نوعية التبريرات الساذجة:

(إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ)

والعجيب أنّ كبرياءه وعناده أورداه حتفه.. فلم يكتفِ بمطاردة موسى عليه السلام ومن معه إلى البحر، بل استكبر أن يعلن هزيمته أمام جنوده لما رأى موسى عليه السلام يشقّ البحر بعصاه، فتبعه وكأنّه أمر عاديّ يحدث كلّ يوم، ولا مخافة أن ينطبق عليه البحر كما كان وهو في منتصف المسافة!.. ولكنه إله ــ كما زعم لمن استخفّه ــ فكيف يخاف الإله أن يعبر البحر خلف من خلقهم؟!! لقد دفعه العناد إلى حتفه، فكان ما كان، وعندما وجد نفسه هالكا لا محالة، صرخ بعد فوات الأوان، معلنا إيمانه بذلك الذي آمنت به بنو إسرائيلّ.. كالعادة: نفس الكبرياء الزائفة والغطرسة والجهالة، تُخرسه أن يقول إنّه آمن بالله، وربّما لو دعا الله دعاء مضطر لنجّاه!

(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠} آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {٩١} فَالْيَوْمَ

نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ {٩٢}) يونس.

إنهم جميعا بنفس الشخصية المغرورة.. يقول الله سبحانه عنهم:

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ {٤} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ {٥}) النمل.

(وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتبَعُوا أَهْوَاءهُمْ {١٦}) محمد.

(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {١٧}) فصلت.

(اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {١٥} أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ {١٦}) البقرة.

(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {١١٠}) الأنعام.

(مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {١٨٦}) الأعراف.

وعموما، كلّهم تنويع على نموذج كبيرهم، إبليس لعنه الله، الذي كان يعبد الله مع الملائكة المقربين، ولكن دفعه كِبْره وغروره إلى عصيان الله:

(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {١٢}) الأعراف.

بل يصل به العمى إلى القسم على الشر وغواية البشر.. تخيّل بماذا أقسم؟.. بعزّة الله!

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢}) سورة ص.

تصوّر أنه يعلم عزّة الله ــ والعزيز هو القويّ الذي لا يُغلب ــ ورغم هذا يختار أن يقسم بهذه العزّة على التحدي والعصيان؟!.. إنه بقسمه بعزّة من

يحاربه، يعلن يقينه التام بهزيمته الحتمية بنفس الوقت الذي يعلن فيه تمرده عليه!!.. هذا أشبه بأن تقول: أقسم بقوتك التي لا تُهزم أن أحاربك!

نعم.. كلّ الكفار والحمقى يمتلكون نفس هذه الشخصية المتغطرسة العمياء: يوقنون بالحق ويصرّون على رفضه.. يرون المعجزات فيتعامون عنها.. يعلمون أن معركتهم خاسرة منذ البداية، لكنّهم يستكبرون عن إعلان استسلامهم وخضوعهم.

لكن.. ترى، ماذا سيكون موقف هؤلاء يوم الحساب، هم ومن ضعف أو جبن عن مخالفتهم واتبعهم حرصا على مصالحهم الشخصية ومكاسبهم الراهنة وتساميهم المزعوم على البشر!.. دعونا نرى:

(إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا {٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {٦٥} يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا {٦٦} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا {٦٧} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا {٦٨}) الأحزاب.

(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ {١٦٦} وَقَالَ الَّذِينَ اتبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ {١٦٧}) البقرة.

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ {١٢} وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {١٣} فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {١٤}) السجدة.

(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {٥٤}) يونس.

(١٦)
البحث عن الضلال

تعرفون كيف يبدو مثل هؤلاء المستكبرين؟.. إنّهم كمن ربطوا أعينهم كـــي لا يرَوا الضوء، ثمّ راحوا يُقسمون بأغلظ الأيمان إنّ العالم مظلم ولا ضوء فيه!

انظروا كيف يطلب عالم التطور الشهير (ريتشارد دوكينز)، مـــن النـــاس "ألا يتسرعوا بالاستنتاج بأنهم قد شاهدوا معجزة، حتى لو شاهدوا تمثالاً يلوِّح لهـــم بيده.. ربما تصادف أن كل الذرات في ذراع التمثال قد تحركت في نفس الاتجاه في آن واحد.. إنه احتمال ضعيف بالطبع، ولكنه ممكن"!

طبعا هذا ليس فلتة.. وانظروا معي لبعض نماذجهم.. أنقلها من كتاب (هـــارون يحيى) الرائع "خديعة التطوّر" :

- يقول أستاذ علم الوراثة الشهير في جامعة هارفارد (ريتشارد ليـــونتن)، وهو من المجاهرين بآرائهم لصالح نظرية التطور:

"ليس الأمر أن الوسائل أو القوانين العلمية تجبرنا بشكل ما على قبـــول التفسير المادي للعالَم المدرَك بالحواس، ولكن علـــى العكـــس، فـــنحن مدفوعون ــ بتمسكنا البديهي بالأسباب المادية ــ إلى خلق أداة للبحـــث ومجموعة من المفاهيم تُنتِج تفسيرات مادية، مهما كانت مخالفة للبديهـــة وغامضة لغير المطَّلع.. وفوق ذلك فإن المادية مطلقة، ولهذا فلا يمكننـــا السماح لتفسير إلهي بأن يأخذ مكانه على الساحة".

- ويشرح روبرت شابيرو ــ أستاذ الكيمياء في جامعة نيويورك، الخبيـــر في خبايا الحمض النووي DNA ــ اعتقادات أنصار نظريـــة التطـــور وإيمانهم بالماديات الكامن خلف هذه الاعتقادات بقوله:

"يجب التوصل إلى مبدأ تطوريّ يستطيع أن يوصلنا من مرحلة خليط المواد الكيميائية البسيطة التي نتكون منها، إلى أول جهاز أو عضو له خاصية وصفة القدرة على الإعادة والتكرار Replicator (مثل DNA أو RNA).. ويمكن إطلاق اسم التطور الكيميائي أو تنظيم المادة لنفسها ذاتيا على هذا المبدأ.. ولكن لم يتم حتى الآن تعريف هذا المبدأ بشكل دقيق وتفصيلي، بل لم تتم البرهنة على وجوده أصلا حتى الآن.. ويتم الإيمان بوجود هذا المبدأ كنتيجة للإيمان بالمادية الديالكتيكية"

- ويُعد عالم الأحياء الألماني (هومر فون ديثفورت) ــ وهو أحد دعاة التطور المشهورين ــ مثالاً جيداً لهذا الفكر المادي المتعصب.. فبعد أن قدّم (ديثفورت) مثالاً على التركيب المعقد للغاية في الكائنات الحية، يواصل الحديث فيقول:

"هل من الممكن فعلاً أن يكون مثل هذا التناغم والتوافق وليد الصدفة وحدها؟.. هذا هو السؤال الرئيسي في قضية تطور الأحياء.. إن الإجابة عن هذا السؤال بنعم هي بمثابة تأكيد للإيمان بالعلوم الطبيعية الحديثة.. فمن الوجهة النقدية، يمكننا القول إن مَن يقبل العلوم الطبيعية الحديثة ليس لديه خيار آخر سوى أن يقول نعم، لأنه يهدف إلى تفسير الظواهر الطبيعية بطرق مفهومة ويحاول استنتاجها من قوانين الطبيعة، دون الاعتماد على تدخل أمور ميتافيزيقية.. ومع هذا، وعند هذه النقطة، فإن تفسير كل شيء بواسطة قوانين الطبيعة (أي بواسطة المصادفات) هو علامة عجزه عن اللجوء إلى شيء آخر، فماذا عساه يفعل سوى الإيمان بالمصادفات؟"

- ويقول العالم التركي (علي دميرصوي):

"الحقيقة أن احتمال تكوُّن سلسلة Cytochrome-c بالصدفة هو احتمال ضعيف جداً يكاد يكون صفراً، أي أنه إذا تطلبت الحياة سلسلة معينة فيمكن القول إن احتمال تكوّن هذه السلسلة هو مرة واحدة في حياة الكون، وإلا فلا بد أن تكون قُوى ميتافيزيقية تفوق إدراكنا قد تدخلت في الأمر.. وقَبول هذا الفرض الأخير لا يناسب الأهداف العلمية.. إذن لا بد لنا من النظر إلى الفرص الأول!"

- ويقول (دميرصوي) أيضا:

"إن لب المشكلة هو كيفية حصول الميتوكوندريا على هذه الخاصية، لأن الحصول عليها بالصدفة، حتى بواسطة فرد واحد، يحتاج إلى اجتماع احتمالات لا يستطيع العقل تصورها.. فالإنزيمات التي تتيح التنفس وتعمل كعوامل مساعدة للتفاعلات في كل خطوة وبأشكال مختلفة تمثل لب الآلية، فلا بد أن تشتمل الخلية على هذه السلسلة من الإنزيمات بالكامل، وإلا أصبح الأمر بلا معنى.. وهنا، فإننا لكي نتفادى اللجوء إلى تفسير أكثر تعنتاً أو إلى التكهن، فنحن مضطرون إلى أن نقبل ــ وإن كان ذلك على مضض ــ فكرة الوجود المسبق لكل إنزيمات التنفس في الخلية قبل تعرضها للمرة الأولى للأكسجين، بالرغم من كون ذلك مخالفاً للتفكير العلمي البيولوجي"

- باختصار، يقول (غراسيه):

"الصدفة جعلت من نفسها إلهاً يُعبَد خفية تحت غطاء الإلحاد!!"

- وهو ما يؤكده لنا عالم الكيمياء الحيوية الأمريكي، الدكتور (مايكل بيهي) ــ وهو أحد الأسماء المشهورة التي تؤيد نظرية التصميم الذكي (Intelligent Design) التي لاقت مؤخراً قبولاً كبيراً في الأوساط

العلمية ــ واصفا العلماء الذين يقاومون الإيمان بالتصميم أو الخلق في الكائنات الحية بقوله:

"على مدى الأربعين سنة الماضية اكتشف علم الكيمياء الحيوية الحديث أسرار الخلية، وقد استلزم ذلك من عشرات الآلاف من الأشخاص تكريس أفضل سنوات حياتهم في العمل الممل داخل المختبرات.. وقد تجسدت نتيجة كل هذه الجهود المتراكمة لدراسة الخلية ودراسة الحياة عند المستوى الجزيئي في صرخة عالية واضحة حادة تقول: التصميم المبدع!.. وكانت هذه النتيجة من الوضوح والأهمية بمكان، بحيث كان من المفترض أن تصنَّف ضمن أعظم الإنجازات في تاريخ العلم.. ولكن ــ بدلاً من ذلك ــ أحاط صمت غريب ينمّ عن الارتباك بالتعقيد الصارخ للخلية!!.. ولكن لماذا لا يتوق المجتمع العلمي إلى قبول هذا الاكتشاف المذهِل؟.. لماذا يتم تكميم مفهوم التصميم المبدع بقفازات فكرية؟.. تكمن الورطة هنا في أن قبول فكرة التصميم الذكي المبدع، يؤدي حتماً إلى التسليم بوجود الله.

(١٧)
نحن نأكل البشر

هناك تأمل أخير في هذا السياق، حول دورة المادة والطاقة في الكون.
هل فكّرت مرّة من قبل، في أنّ الطعام الذي تأكله قد أكلــه مــن قبلــك آلاف البشر؟.. هذا إن لم يكن ما تأكله هو هؤلاء البشر أنفسهم!!
حسنا.. دعنا نوضّح الأمر:
أنت تعرف أنّ المعدة تقوم بهضم الغذاء، الذي يتوّجه بعد ذلــك إلــى الأمعــاء الدقيقة.. هناك يتمّ امتصاص الغذاء ليحمله الدم إلى خلايا الجسم، وما يتبقى من فضلات صُلبة يتجه إلى المستقيم، ليتمّ التخلّص منه خارج الجسم.
لكن ماذا يحدث لباقي الغذاء بعد أن يحمله الدم؟
يُسلّم الدم الغذاء للخلايا، ومعه الأكسجين الذي أخذه من الرئتين.. وتقوم الخلايا ببعض التفاعلات الكيميائيّة لحرق الغذاء عن طريق الأكسجين.. وينتج من هذه العملية الطاقة اللازمة لتحريك عضلات الجسم وأداء وظائفه المختلفة.. لاحــظ أن هذه الحرارة هي التي تجعل درجة حرارة جسم الإنسان في الأحوال العادية ٣٧ درجة مئوية.
وينتج عن حرق الغذاء أيضا ثاني أكسيد الكربون، الذي يحمله الدم في عودتــه مرّة أخرى إلى الرئتين ليخرج عبر عملية الزفير.
والمواد الضارّة الأخرى الناتجة عن عمليات الخلايا، ترشّحها الكليتان من الــدم وتخرج مع البول.. وتخرج بعض المواد الأخرى كالأملاح مع العرق.
وطبعا لا تحرق الخلايا كلّ الغذاء، فهي تستخدم البروتينات والأحماض الأمينية المختلفة لبناء خلايا الجسم، وما زاد عن حاجة الجسم يتم تخزينه فــي صــورة دهون.

والآن، دعنا نلخص الأمر.. هذا ما يحدث لمكونات الطعام الذي أكلناه:

- تخرج الفضلات في صورة براز وبول وعرق وزفير.

- تنتقل حرارة الجسم إلى الهواء المحيط، ويُسهم العرق في تسريع هذه العملية.. وقد تساهم هذه الحرارة الناتجة من جسمك ــ مع مصادر حرارية أخرى ــ في تبخير المياه وتشكيل الرياح وهطول المطر، وربما تكون قطرات عرقك التي بخّرتها حرارة جسمك بعض قطرات هذا المطر!.. وتمتص التربة هذا المطر، لتذوب فيه أملاحها.

- تدخل المواد الباقية من الطعام في بناء الجسم البشري.. وهي تعود إلى التربة مرّة أخرى مع موت الإنسان وتَحلّله.

إذن، فكلّ الطعام الذي أكلناه، سيعود إلى الطبيعة مرّة أخرى، طال الأمد أم قصر.

وهكذا تستردّ الطبيعة طعامها مرّة أخرى، حيث تقوم الكائنات الدقيقة بتحليل الفضلات وأجساد الموتى، لتعود إلى التربة من جديد في صورة أملاح وعناصر أولية، حيث يقوم النبات بامتصاصها من جديد، ويمتص ثاني أكسيد الكربون من الهواء ــ ربما تكون أنت قد زفرته للتوّ ــ ليدخل كلّ هذا مع ضوء الشمس واليخضور (الكلوروفيل) في بناء الكربوهيدرات، التي ستدخل في تكوين ساق النبات وأوراقه وثماره، التي سيأكلها حيوان أو إنسان.. ولو أكلها حيوان فقد يأكله إنسان، أو حيوان آخر، حيث سيموتون جميعا في النهاية وتستمرّ الدورة!

نعم.. أجسادنا التي يبنيها طعامنا، هي خليط من كلّ الفضلات وجثث الحيوانات والبشر، تمّ إعادة تدويرها في نظام بديع، لتستمرّ دورة الطاقة والمادة في الحياة. تفهم الآن معنى قانون بقاء المادّة، فهي لا تفنى ولا تستحدث من عدم، ولكنّها تتحوّل من صورة إلى أخرى.

وهذا ينطبق أيضا على الطاقة، فهي لا تفنى ولا تستحدث من عدم، ولكنّها تتحوّل من صورة إلى أخرى، كتحوّل الحرارة إلى حركة عندما تبخّر الماء نتيجة تسارع حركة جزيئاته، وتحوّل الحركة إلى كهرباء حينما يدير البخار الدينامو، وتحوّل الكهرباء إلى ضوء وحرارة في المصباح الكهربي وهكذا....

ويمكن للمادّة أن تتحوّل إلى طاقة، عند حرق الخشب والفحم مثلا.. وتصل هذه الطاقة إلى ذروتها في التفاعلات النووية، حيث إنّ الطاقة الحرارية الناتجة عن تحول جرام واحد من المادة المشعة تعادل الطاقة الحرارية الناتجة عن احتراق ٢٠ مليون طن من الفحم!

وأيضا يمكن أن تتحوّل الطاقة إلى مادّة.. وتتكلّم نظرية الكمّ عن تحوّل فوتونات الضوء إلى جسيمات ذرية، لكنّها سرعان ما تتصادم وتتحوّل إلى ضوء مجددا.. دعنا لا ندخل في هذا التعقيد هنا، ودعنا نعتبر ما يحدث في أوراق النبات مثالا بسيطا مقبولا، ففيها تتحوّل طاقة الشمس إلى روابط كيميائيّة مختزنة في المواد الغذائية التي يصنعها النبات، ولهذا فإنّ النبات هو مصدر كلّ الخشب والفحم والبترول على الأرض، ومصدر الطاقة التي تعمل بها خلايا الحيوان والإنسان.

(١٨)

من نحن؟

ما دمنا وصلنا بتأملاتنا إلى هذا المستوى، فعلينا أن نفكّر في سؤال لا بدّ أنّه جال بأذهان الكثيرين:

كيف سيحاسبنا الله سبحانه يوم القيامة، بعد أن تكون أجسادنا قد دخلت في تكوين أعداد لا حصر لها من النباتات والحيوانات والبشر والكائنات الدقيقة؟..

ومن نحن أساسا إذا كانت أجسامنا مكونة من بقايا أجسام مخلوقات أخرى؟

هنا دعنا ننظر للإنسان على نطاقين: نطاق الجسد، ونطاق الروح.

طبعا نحن لا نعلم كُنه الروح، ولكننا نعلم أنّها الشيء الوحيد الذي يفرّق بين جسد حيّ وميت.. هذه الروح متفرّدة ولا تُستخدم في هذه الحياة إلا مرّة واحدة من قبل مخلوق واحد، حيث لن تعود إليه مرّة أخرى إلا يوم البعث.. وهذا يجعلنا لا نقلق بخصوص أي التباس، فما يجعل كلا منا مميزا هو روحه.. لا جسده.

لكن.. هذه الإجابة لن ترضي الماديين، فهم أصلا لا يؤمنون بوجود الروح.. لهذا لن نخيّب رجاءهم، وسنخاطبهم بمفاهيمهم المادية.. لقد تكلّمنا عن الروح، وسنتكلّم الآن عن الجسد، الشيء الوحيد الذي يؤمنون به وهو فاني!

وعند حديثنا عن الجسد، يجب أن نميّز بين شيئين جوهريين: البنية المادّية للجسد، والبنية المعلوماتية له.

ولو نظرنا للبنية المادية، فسنجد هذه الحقيقة المدهشة: يقدر العلماء عدد الخلايا التي تموت في جسم الإنسان في كلّ ثانية بمليون خلية.. طبعا هذا عدد ضئيل بالنسبة لعدد خلايا جسم الإنسان، الذي يقع ما بين ٦٠ تريليون إلى ١٠٠ تريليون خلية، علما بأنّ التريليون هو مليون مليون.. وهذا يعني أنّك تتبدّل كلّية

تقريبا كلّ ثلاث سنوات.. ولا يبقى ثابتا فيك غير الخلايا العصبية، فهي لا تتبدّل، وما يموت منها لا يُعوّض (هناك بحوث حديثة تقول إن هناك آلية صيانة في المخّ، لكن يبدو أن موت وتجدد الخلايا العصبية وإعادة تلاحمها ليست بنفس سرعة موت وتجدد وتلاحم الخلايا العادية، لهذا تبدو بالنسبة للخلايا الأخرى كأنها لا تموت).

يذكرنا هذا بمقولة: "إنّك لا تنزل النهر نفسه مرتين".. ليس فقط لأنّ قطرات النهر تتبدّل وتتجدّد باستمرار مع جريان النهر الدائب من المنبع إلى المصبّ، ولكن أيضا لأنّ خلاياك أنت نفسك تموت وتُستبدّل في كلّ ثانية بالملايين!

إذن فأجسادنا أساسا غير ثابتة ونحن أحياء، ورغم هذا نظلّ نحتفظ بشخصياتنا وكينونتنا.. حاول أن تقارن صورك القديمة بملامحك الحالية.. ستكتشف أنك تبدلت عبر سنوات عمرك عشرات المرات!

وهذا يعيدنا إلى الحديث عن الخلايا العصبية التي لا تتبدّل (تقريبا)، مما يصلح مدخلا للحديث عن البنية المعلوماتية لأجسادنا.

إنّ مما يميزنا كبشر، ذاكرتنا التي تحوي أفعالنا وخبراتنا وسجلات مشاعرنا وأحلامنا.. ومن الثابت علميا أنّ كلّ شعور وفكرة وصورة وصوت ورائحة وطعم يدركها الإنسان، تختزن في ذاكرته حتى لو عجز عن تذكرها إراديا.. وكثيرا ما يحدث أن نتذكّر مواقفَ مضى عليها سنوات، بسبب رائحة شممناها أو صوت سمعناه أو شخص قابلناه.

لكنّ البنية المعلوماتية للإنسان، لا تتوقّف عند المعلومات التي تحويها ذاكرته.. فعقله وجسمه وكلّ التفاعلات التي تجري به، مكتوبة جميعا على الشفرة الوراثية للإنسان.. وتوجد من هذه الشفرة نسخة كاملة مكرّرة في كلّ خلية من خلايا جسم الإنسان.. وطبعا هذا التكرار الهائل يضمن أنّه مهما مات من خلاياه

ــ بل ومهما بُتر من أعضائه ــ فإنّ جسده مــا زال يحــوي أرشــيفا كــاملا لتركيبه.. مكررا لملايين الملايين من المرات.

لهذا، فما الغريب في قدرة الله سبحانه على إعادة بنــاء أجســادنا مــن مــواد الأرض، تبعا للشفرة الوراثية المميزة لكلّ منا، مع إعادة شحن ذاكرتنا بكلّ مــا عشناه، وردّ أرواحنا إلينا لنعود إلى الحياة؟.. هل سنختلف في شيء حينها عما نحن الآن، حتى لو لم تكن الذرات التي تكوّن أجسادنا هي نفس الــذرات التــي تكونها الآن؟

بصيغة أخرى: هل ما يجعلنا نحن هو طين الأرض، أم الروح التي نفخت فــي هذا الطين، والشخصية المميزة التي تتحكم في هذا الطين؟

وهل الذي سيحاسب هو الطين، أم أنت؟

يقول سبحانه:

(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ {٧٧} وَضَرَبَ لَنَــا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {٧٨} قُــلْ يُحْيِيهَــا الَّــذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {٧٩}) سورة يس.

ويقول سبحانه:

(بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيــبٌ {٢} أَئِــذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ {٣} قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِــنْهُمْ وَعِنــدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ {٤}) سورة ق.

(١٩)
البرامج الحية

ذكرنا في معرض حديثنا أن المخ البشري يعتبر أقوى حاسب موجود على ظهر الأرض، ويتكون من أكثر من ١٤ مليار حاسب دقيق فائق السرعة اسمه الخلية العصبية، ويحتوي على مراكز للتحكم في كل أجزاء الجسم، بخلاف قدرته على حفظ الذكريات وتحليل المعلومات وإدراك الحقائق وابتكار الأفكار الجديدة وصناعة الأحلام والتحليق مع الخيال... إلخ.

وكأي جهاز حاسب، يمكن برمجة المخ البشري.. فإن كنا نبرمج الحاسب الآلي بإدخال البيانات عبر لوحة المفاتيح، أو إمداده بالبرامج الجاهزة عبر قرص ضوئي أو غيره من الوسائط، فإن المخ البشري يمتلك خمسة مداخلات أساسية يستقبل منها البيانات وبالتالي تمكن برمجته من خلالها، وهي: السمع والبصر والشم والتذوق واللمس.

هذه الحواس الخمس هي التي تربط الإنسان بالعالم الخارجي، والتي تسمح للطفل منذ مولده بالاتصال بهذا العالم وتشرّب المعلومات منه ليتشكل وعيه وشخصيته.

والحقيقة البسيطة التي يغفل عنها الكثيرون، أن كل شيء يدخل المخ البشري عبر هذه الحواس يعتبر برنامجا يتم إعداده على المخ Setup، لتشكل هذه البرامج في مجموعها ما نسميه العقل، أو الوعي، أو الشخصية.

هذا المدخل يقودنا إلى استنتاجين في غاية الخطورة:

الاستنتاج الأول:

أن المخ البشري جهاز حاسب مرن قابل للتعلم، وإهدار فترة الطفولة والشباب في تفاهات وفوضى دون القراءة والتأمل والبحث عن المفيد وتعلم المهارات الذهنية واليدوية والاجتماعية المختلفة، يعني خسارة ملايين العقول المبدعة التي ننتظرها لصناعة الغد.. إن الشاب الذي يضيّع عمره في مطاردة الفتيات التافهات أو متابعة قنوات الأغاني الهابطة أو الثرثرة في مواقع الدردشة بلا طائل، أو يدمر أروع نظام متكامل على ظهر الأرض ــ جسده ــ بالتدخين أو المخدرات، هو شاب يخصم كل الإمكانيات الهائلة التي منحها الله له، من طاقة مجتمعه ومستقبل أبنائه.

الاستنتاج الثاني:

أن كل فرد فينا لا يؤثر في نفسه فحسب، بل هو يبرمج عقول الآخرين أيضا شاء أم أبي!.. فإن اعتبرنا جسم الإنسان بمفرده شبكة حاسوب محلية عملاقة LAN، فإن البشر جميعا يشكلون معا شبكة معلومات بشرية هائلة (دعنا نسميها Homonet على وزن Internet).. هذه الشبكة لا تتصل بالأسلاك، بل تتصل لاسلكيا في نظام Blue Tooth مذهل عن طريق الحواس البشرية.

هذا يعني مثلا: أن المرأة غير المحتشمة[٣] التي تسير في الشارع، هي برنامج سلبي حي يمشي على قدمين، يبرمج عقول الفتيات الأخريات على عدم

---

٣ شروط الزي المحتشم:

١- طويل سابغ ضافي لا يظهر العورة، ويستر كل الجسد.

٢- واسع فضفاض لا يلتصق بالجسم ولا يصف العورة.

٣- سميك غير شفاف.

الاحتشام، ويشوّش على عقول الشباب ويهدر طاقاتهم في شهوات عبثية.. ويزداد الأمر سوءا حينما تظهر هذه المرأة على صفحات الجرائد وشاشات القنوات الأرضية والفضائية لتفسد عقول الملايين، فتزيد نسب الفاحشة والاغتصاب، والزنا المقنع المسمى خطأ بالزواج العرفي، دون أن يكون زواجا لعدم اكتمال أركانه، ودون أن يكون عرفيا لأن أهل الفتاة أنفسهم لا يعترفون به وإلا كانت صارحتهم به!

بينما المرأة المحتشمة هي برنامج إيجابي تقدمي، ورمز للعفة، ورمز التخلص من تبعية المحتلين، الذين لم يعلمونا كيف نصنع الحاسب وعلموا نساءنا كيف تتعرى على الموضة، مما يعني أنّ المرأة المحتشمة هي امرأة حرة بكل معنى للكلمة، خرجت من عبودية المحتل وأفكاره الهدامة إلى عبودية خالقها، وبهذا فهي رمز لصناعة المستقبل، وأملنا في تربية جيل أفضل، حتى ولو لم تكن تفعل شيئا أكثر من كونها محتشمة، فهذا على الأقل يترك الشباب يستثمرون طاقاتهم فيما يفيد.. مع ملاحظة أن الاحتشام ليس في الزيّ فقط، ولكنه أيضا في الحياء والسلوك وعدم الاختلاط بالرجال.

لن نصنع الغد بامرأة لا تجد ما يميزها سوى جسدها الذي لم تفعل شيئا لتمتلكه، وستحاسب عما ستفعله به.. نحتاج إلى جيل من النساء ينتبهن إلى أن الله خلق لهن عقولا هي أولى بالاعتناء والرعاية والتنمية من الأجساد التي لا تميز شخصا عن آخر!.. للأسف: حتى جامعاتنا اليوم تخرج لنا فتية وفتيات تم محو أميتهم على أفضل تقدير، بسبب تحول جامعاتنا إلى ما يشبه ملهى صباحي كبير واستعراض أزياء وحديقة للعشاق، مع نظام تعليم نظري مترهل يعتمد على

٤- غير مبهرج الألوان والأشكال، بحيث لا يهدف إلى لفت النظر في حد ذاته.. . يجب أن تقتل المرأة المحتشمة في نفسها حب الظهور والتفاخر بمظهرها.

الحفظ والتسميع في ورقة الإجابة!!.. نحتاج إلى صحوة حقيقية لنحلم بغد أفضل.. نحتاج إلى فتيات جادات، تجبر الشاب على تهذيب عقله وسلوكه ليحظى بإعجابهن، بدلا من أن يهتم بقصة شعره ورقعة بنطاله ليتسكع معهن هنا أو هناك!

أيضا: الكاتب الذي يملأ كتاباته بالأفكار الهدامة والكتابات الغريزية، هو شركة برمجة كاملة تنتج أسوأ الفيروسات التي تدمر العقول التي تدخلها.. وهي فيروسات، لأن الفكرة السيئة تنتشر عبر من يقتنع بها، سواء بالقول أو الفعل.

والمنتج والمؤلف والمخرج والممثل، الذين يسكبون على عقول أجيالنا الجديدة أقذر ما أفرزته قرائحهم من التفاهة والعري والسُكْر والفحش والابتذال ونماذج الشخصيات المريضة، هم السبب الأساسي في تخلفنا وجهلنا وغبائنا، بتدميرهم لثروتنا الهائلة من العقول التي ننتظر تحررها وانطلاق إبداعها لتأخذ دورها في صناعة الحضارة وصناعة الغد.

وهذا يقودنا إلى حقيقة خطيرة: أي امرأة تهمل تربية أبنائها فتخرج للعمل وتتركهم فريسة للأفكار الهدامة في التلفاز والشارع والمدرسة، دون أن تكون بجوارهم في معظم الأوقات لتعمل كبرنامج مضاد للفيروسات Anti-virus program وتغربل هذه الأفكار وتحصنهم ضدها، هي امرأة تهدم المجتمع وتضيع الأمل في مستقبل أفضل لأولادها ولنا جميعا، مهما كانت قيمة العمل الذي تؤديه خارج بيتها!.. ما قيمة أي نجاح فرديّ في مجتمع أجياله الجديدة فريسة للتفاهة والانحراف والضياع؟.. وألا يعي من يحقرون دور ربة المنزل، أنها أفضل مبرمجة على ظهر الأرض، لأنها تبرمج المخ البشري والنفس الإنسانية، فيما نعرفه نحن باسم التربية؟

وأريد أن أختم هذا الموضوع بقوله صلى الله عليه وسلم: "المرء على دين خليله.. فلينظر أحدكم من يخالل"

أريد أن ألفت نظركم إلى أن الخليل ليس فقط من يجلس بجوارك في الفصل المدرسي، أو من تمشي معه في الشارع أو تلعب معه الكرة.. الخليل أيضا هو الكتاب الذي تقرؤه، والفيلم أو المسلسل أو البرنامج الفضائي الذي تشاهده، وموقع الإنترنت الذي تدخله.. كل مصدر للفكر قادر على التأثير على سلوكك تتعرض له لفترات طويلة، هو خليل لك يؤثر على وعيك وفكرك وسلوكك ودينك.. فلتنظر جيدا إذن من تخالل.

الحلقات المفقودة في الداروينية الفقيدة!

هيا نفند نظرية داروين في خمسة أسئلة!

نحن هنا الآن لنفحص أهم فكرة قامت عليها نظرية التطـــور، وهـــي الحلقـــات الوسيطة، التي زعموا أنها تفصل بين كل نوعين مختلفين، والتي مـــن وجهـــة نظرهم، تحمل مراحل التطور التدريجية المختلفة.. ولدينا هنا خمسة أسئلة فـــي غاية الأهمية، إضافة إلى سؤال ختامي:

١- كيف ظهرت الحلقات الوسيطة بالصدفة؟

٢- لماذا ما تزال الحلقات المفقودة مفقودة حتى الآن؟

٣- لماذا انقرضت الحلقات الوسيطة أصلا؟

٤- لماذا لا تتطور حلقات وسيطة جديدة في عالمنا اليوم؟

٥- أين هي حفريات المحاولات التطورية الفاشلة؟

٦- الخاتمة: الداروينية علم أم دين؟!

دعونا نتأمل في هذه الأسئلة:

١- كيف ظهرت الحلقات الوسيطة بالصدفة

الداروينية الجديدة مبنية على تراكمات مستحيلة من الصدف بشكل لا يوصف.. فهي تفترض أن أخطاءً عشوائية عمياء في عملية نسخ DNA أثناء التزاوج، ستوجد بالتدريج نوعا جديدا أفضل تصميما من سابقه، وأن هذه الأخطاء ستضيف محتوى معلوماتي جديدا للمحتوى الوراثي الموجود، فينتج عن ذلك شيء لم يكن موجودا من قبل، كالورقة أو الزهرة أو الجناح أو الريش أو الخرطوم أو المخ.... إلخ!.. فكيف يفعل الخطأ الأعمى كل هذا؟.. ومنذ متى تكون الأخطاء مصمما مبدعا؟!

وإن افترضنا أنه حدث.. فكيف سيتجنب النوع الجديد الأمراض الوراثية والتدهور الجيني الموجودة في النوع السابق، لكي تتاح لهذا النوع الجديد فرصة الاستمرار لآلاف السنين وظهور أنواع أخرى منه، بحيث تظل الجذوة مشتعلة لملايين السنين؟

إذن فالداروينية تفترض بداهة أن الصدفة الخلاقة يجب أن تحدث في أكمل زوجين في النوع القديم.. مثلا: يجب أن يتصادف أكمل ذكر مع أكمل أنثى في النوع الأول فيتزاوجا، فينتج عن هذا ذرية صحيحة بها خطأ مبدع ولو صغير.. لأن ظهور نوع جديد من أي فردين آخرين أقل اكتمالا سيعني بالضرورة ظهور نوع جديد معيب، وفرصة مثل هذا النوع في الانقراض مع مرور الزمن أعلى.

لاحظوا أنني أتكلم هنا عن الأكمل جينيا وليس الأقوى بدنيا كما تدّعي فكرة صراع البقاء.. فالذكر الأقوى يمكن أن يكون حاملا لأمراض وراثية لم تظهر أعراضها عليه بعد، وبالتالي هي لا تؤثر في قوته ما دام المرض لم يظهر

عليه.. كما أن الذكر القوي قد يحمل جينات متنحية لمرض وراثي وبالتالي فهي لن تصيبه أبدا، لكنها يمكن أن تصيب أبناءه وأحفاده!.. وكل هذا يعني أنّ الذكر المعيب جينيا قادر على المواجهة في صراع البقاء، وقادر على هزيمة الـــذكور الأخرى في موسم التزاوج وإنجاب نسل معيب جينيا!!

ما علينا: حدثت الصدفة السعيدة، وتزاوج أكمل ذكر وأنثى في نوعهما، وأنجبا نسلا.. تعالوا نكمل معا باقي التصور الداروينى:

بعد حدوث الخطأ المثالي الأول في نسل أكمل زوجين، ستستمر الذريـــة التـــي تحمل هذا الخطأ الخلاّق في الحياة والتناسل، لتتراكم الأخطاء المبدعة على ذلك الخطأ الأول، إلى أن ينتج نوع جديد مختلف جذريا.. وهذا يجعلنا نتساءل عـــن احتمال صمود بضعة أفراد من حاملي الطفرة النافعة، أمام كل مخاطر البيئـــة والحيوانات المفترسة والأمراض!.. ماذا لو حدث التغير المنشود لكـــن حاملـــه مات مبكرا دون نسل؟.. هنا تظهر ثغرة أخرى في هذه التخـــيلات: فصـــراع البقاء لا يقتل فقط الأفراد الضعيفة، فالأعداء الطبيعيون قادرون على افتـــراس أفراد هذا النوع وهم صغار، أو وهم نائمون، كما أن أخطار البيئة كالصـــواعق والبراقين والفياضات والجفاف تستطيع اجتثاث آلاف الأفراد من هـــذا النـــوع بغض النظر عن قوتهم وضعفهم وكمالهم ونقصهم!

هذا الكلام يعني أن نفس الصدفة الخلاقة يجب أن تحدث مرات عديدة في أفراد مختلفين من نفس النوع، لكي نضمن أن موت بعضهم بدون نسل لن يقتل تلـــك الطفرة المبدعة معهم!!

هل يبدو لكم هذا كلام عقلاء، ناهيكم عن علماء؟

معروف تماما في علم الإحصاء أن انتظار تكرار نفس الأمر، يعقّد الاحتمالات ويجعلها أقل قابلية للحدوث (راجع موضوع وللرياضايات كلمة في فصل أبدع

حاسب وأبدع نظام تشغيل).. ونحن نتكلم هنا عن احتمالات متراكبة بطريقة لا يمكن حدوثها، فنحن ننتظر:

أ- أن تحدث طفرة في الخلايا الوراثية (الحيوانات المنوية والبويضات) وتنجح هذه الخلايا في التكاثر وتكوين أجنة.

ب- أن تكون الطفرة مفيدة.

ج- أن يكون الأبوان مثاليين جينيا للحصول على حلقة وسيطة مثالية جينيا.

د- أن يستطيع الأفراد الذين يحملون الطفرة الجديدة، الحياة وسط أخطار البيئة ليمكنهم التناسل.. هذا الاحتمال يقل كثيرا كلما قل عدد الأفراد الحاملين للطفرة.. لكن المشكلة أن افتراض زيادة عدد الأفراد الحاملين للطفرة يجعل احتمال حدوث هذه الطفرة وتكررها أكثر استحالة!

إن الاحتمال النهائي لحدوث كل هذه الشروط معا، هو حاصل ضرب كل هذه الاحتمالات، وهو يجعل الاحتمال الإجمالي صغيرا جدا ومستبعدا.. لكن دعونا نبسط الأمور هنا، ونفترض جدلا أن احتمال ظهور أفراد يحملون طفرة مفيدة بظروف مثالية لاستمرارهم، هو ١ في الألف فقط.. لاحظوا أن الأدق أن نحسب احتمال حدوث طفرة من عدمه (لأن الطبيعي ألا تحدث طفرة أصلا)، ثم نحسب احتمال أن تكون هذه الطفرة مفيدة وليست ضارة (والمؤكد علميا أن الطفرات ضارة في الأغلب الأعم).

لو افترضنا أن الاحتمال الأول هو ١/١٠٠٠ (طفرة في جنين واحد من كل ألف) والاحتمال الثاني هو ١/١٠٠٠ (طفرة واحدة مفيدة من كل ألف طفرة)، فهذا يعني أن احتمال حدوث طفرة بشرط أن تكون مفيدة هو ١ في المليون.. لكن كما ذكرت، سنتجاهل كل هذا، ونعتبر أن هذا الاحتمال ١ في الألف فقط، لنرى أين سيقودنا هذا الاحتمال المبسط (فلنأخذ الداروينيين على قدر عقلهم **J**).

نحتاج الآن إلى أن تتكرر هذه العملية في جيل تـــال لكـــي تتـــراكم الطفـــرات التدريجية المزعومة على نفس الخط الذي سنحصل في نهايته على نوع جديد.. احتمال نسبته ١/١٠٠٠ في الجيل الأول، ستصير نسبة تكراره في الجيل الثاني هي ١ في المليون.. وفي الجيل الثالث، سيتضاءل هذا الاحتمال إلـــى ١ فـــي المليار.. وفي الجيل الرابع سيتضاءل إلى ١ في الترليون.. وهكذا...

فلو افترضنا أننا نحتاج إلى ١٠٠ طفرة مفيدة فقط لخلق نوع جديـــد (وهـــذا لا يكفي بالتأكيد لكي يتحول الدب إلى حوت، فالفروق بينهما أكبر من هذا بكثير)، فـــإن احتمـــال حـــدوث هـــذه الطفـــرات فـــي نفـــس الســـلالة سيســـاوي ١/ (ألف أس ١٠٠)، أي ١ / (١٠ أس ٣٠٠)، وهـــو احتمـــال يســـاوي فـــي الرياضيات صفرا، لأن ١٠ أس ٣٠٠ هو رقم لا نهائي بالنسبة لكل شيء نعلمه في عالمنا، وقسمة ١ على ما لا نهاية تعطينا صفرا!

لاحظوا أننا وصلنا إلى هذه النتيجة القاطعة رغم أنني افترضت منـــذ البدايـــة أرقاما بسيطة للغاية: ١/١٠٠٠ فقط لحدوث طفرة مفيدة، و ١٠٠ طفرة مفيـــدة في ١٠٠ جيل فقط لصنع نوع جديد!

لاحظوا أيضا أن عدد الأفراد في نفس النوع وعبر ١٠٠ جيل لا يمكن أن يكون كبيرا جدا للدرجة التي تقلل من فداحة هذه الاحتمالات، لأن لكل نـــوع عـــدوا طبيعيا يحد من زيادته، وحتى لو لم يتوفر العدو الطبيعي، فإن مـــوارد البيئـــة محدودة، وزيادة أفراد النوع عن حد معين تؤدي إلى استهلاك الغذاء ومـــوتهم بالمجاعة.. لكن حتى لو افترضنا أننا نتكلم عن نوع يوجد منه في كل جيل ١٠ مليار فرد، أي يوجد منه في ١٠٠ جيل، مليون مليون فرد (١٠ أس ١٢)، فإن اشتراكهم جميعا في فضاء التجربة سيقلل من الاحتمال ليصـــير ١ / (١٠ أس ٣٠٠-١٢) أي ١ / (١٠ أس ٢٨٨)!!.. أي أنهم لا يغنون من الصدفة شيئا!!

فماذا لو قلت لكم إن الحياة في الواقع أعقد من افتراضاتنا هنا بكثير، وأن الاحتمالات الفعلية أكثر استحالة من حساباتنا؟

على سبيل المثال: يجب أن نضع تعريفا واضحا للطفرة المفيدة والطفرة الضارة.. فالطفرات التي تصنع جناحا مثلا ستكون ضارة لو أضافت للطائر ثلاثة أجنحة بدلا من جناحين، لأنها ستُعجزه عن الطيران والمشي!

كما أن ترتيب الطفرات مهم حتى يكون هناك تراكم إيجابي في الطفرات، وهو ما لم نأخذه في الاعتبار.. فمثلا: لكي يتم بناء الجناح بشكل تدريجي، يجب إنشاء عظامه بالتدريج أولا، ثم كسوها بالريش بعد ذلك.. افترض مثلا أننا نحتاج ١٠٠ طفرة فقط لتحويل نوع إلى آخر، وأن كل طفرة يجب أن تحدث في ترتيبها الصحيح.. احتمال أن نختار الطفرة الصحيحة عشوائيا من بين ١٠٠ طفرة هو ١/١٠٠.. هذا يجعل احتمال حدوث طفرة مفيدة بشرط أن تكون في الترتيب الصحيح هو ١/١٠٠٠ × ١/١٠٠ = ١/(١٠ أس ٥).. وهذا يجعل احتمال تراكم ١٠٠ طفرة مفيدة بالترتيب الصحيح هو ١/ (١٠ أس ٥٠٠)!

كما ترون: كلما اقتربنا بافتراضاتنا من الواقع العملي، صارت الأمور أكثر استحالة.. مع أن الأقل استحالة هو غير محتمل الحدوث أصلا!

لاحظوا أننا هنا نتكلم عن احتمال نشوء نوع واحد فقط بالطفرات العشوائية.. لكن الحقيقة أن لدينا في الحياة أكثر من ٩ مليون نوع، واحتمال تكرر الصدف التي تُخرج كل نوع منها من الآخر لنحصل على شجرة التطور الداروينى المزعومة هو ١/ (١٠ أس ٥٠٠ أس ٩ مليون) أي ١/ (١٠ أس ٤,٥ مليار) وهو احتمال مستحيل بكل السبل، لأن العدد واحد وعلى يمينه ٤ مليار صفر هو رقم أكبر من تخيلنا للـ (ما لا نهاية) بما يفوق الوصف.. لكي تفهموا هذا، أذكركم بأن سكان العالم يحتاجون إلى ٣٠٠ مليار سنة للحصول على ١٠٠ صورة متتالية عند إلقاء العملة.. بل والأنكى من هذا، حين حسبنا الوقت الذي

يحتاجه الحاسب الآلي لمجرد العد من ١ إلى ١٠ أس ٣٠، وجـــدنا أنـــه ١٢٦ مليون مليون سنة!.. ولو تم تقسيم هذه العملية على مليون حاسوب تعمل علـــى التوازي، فستحتاج إلى ١٢٦ مليون سنة!!.. أي أن ١٠ أس ٣٠ تتجاوز الـــــ (ما لا نهاية) بالنسبة لعمر الكون وقدرات الحاسب الآلي، فما بالنا بـــالرقم ١٠ أس ٤ مليار؟!

٣- لماذا ما تزال الحلقات المفقودة مفقودة حتى الآن؟

هناك كتاب للعالم جيفري شوارتز يوصي فيه بالتخلص من نظرية داروين كلياً، والبحث عن تفسير جديد عن كيفية تطور الحياة (لاحظوا أنه من أنصار التطور!!)

تقول نظرية داروين إن الأنواع الجديدة من الكائنات الحية تظهر بسبب التراكم التدريجي للطفرات.. وتتنبأ النظرية بأن الحفريات ستكشف عن مئات الآلاف من الأنواع الانتقالية، وهي أنواع في مرحلة متوسطة للكائن تربط النوع اللاحق بالسابق.

لكنّ سجل الحفريات لا يظهر شيئاً من هذا القبيل، بل إن الأنواع الجديدة من الكائنات الحية - بحسب رأي شوارتز- تظهر فجأة، حيث تتحول الزعانف إلى أرجل مباشرة دون المرور بمرحلة وسطية انتقالية، ويقول أيضاً تأييداً للتحول المباشر: "أنت لا ترى تطوراً تدريجياً للريش، فإما أن ترى الريش أو لا تراه."

لذلك بالنسبة لشوارتز، فإن الفكرة الداروينية عن التطورات البطيئة والمتراكمة عبر الأجيال الطويلة هي فكرة خاطئة.

فلا عجب بأنه أطلق اسم "الأصول المفاجئة" على كتابه الجديد، فمنذ داروين تعلق علماء بيولوجون كثيرون بأمل أن الفجوات في سجل الحفريات ستمتلئ في النهاية، وأن الحلقات المفقودة سوف تكتشف، ولكن شوارتز يقول بأن الفجوات لن تملأ أبدا، لأن الحلقات المفقودة لم توجد قَطّ، ويحث العلماء البيولوجيين أن يبدأوا في البحث عن نظرية جديدة لشرح الأصول المفاجئة.

إن شوارتز يقدم لنا معروفاً بالإشارة إلى فشل نظرية داروين، ولكن إصراره على حدوث التطور ليس أمرا منطقيا، فالكائنات الحية تُظهِر مستويات من

الهندسة والتصميم والتعقيد بدأ العلماء بفهمها مؤخرا، وكلها تؤيد منطقياً أن الكائنات هي من خلق مهندس ذكي ومصمم عظيم هو الله سبحانه.

ملحوظة:

يدعي أنصار التطور أنهم عثروا على حلقات وسيطة.. ورغم أن عدد ما ادعوا أنه حلقات وسيطة محدود جدا، فإن هناك جدلا مستمرا حول هذه الحفريات وإن كانت وسيطة فعلا، أم أنها كانت أنواعا مميزة بذاتها.

ولنأخذ مثالا بسيطا يوضح لنا هذا:

يدعي أنصار التطور أنهم وجدوا حفرية لنوع قديم من الخفافيش أذنه غير مكتملة وجناحاه غير مكتملين، مما يعني أنه لم يكن يستخدم السونار، ولم يكن قادرا على الطيران، ولهذا فلا بد أنه حلقة وصل في تطور حيوان ثديي عادي (ربما كان الفأر مثلا) إلى كائن ثديي يطير ويستخدم السونار.

هذا الكلام لا يمكن قبوله علميا للأسباب التالية:

١- إذا كانت الظروف المحيطة بالخفاش ــ مثلا ــ دفعته إلى تطوير جناحين حتى يتكيف معها ولا يموت، فكيف استطاع الحياة وسط هذه الظروف القاتلة لآلاف السنين كما تدعي النظرية دون أن ينقرض، إلى أن اكتمل له أخيرا بناء الجناح؟.. هذه فرضية متناقضة، والعلم يرفضها فورا!.. إنها تتعارض حتى مع مبدأ الانتقاء الطبيعي، فالمخلوق غير المناسب لظروف البيئة سيموت وينقرض.. فكيف نفترض أنه سيطور تركيبه في آلاف السنين وسط هذه الظروف؟!!.. كيف لمخلوق مشوّه ــ له رجلان خلفيتان وجناحان ناقصان ــ مواصلة حياته، وهو لا يستطيع الجري ولا الطيران؟.. ماذا كان يأكل وكيف كان يهرب من أعدائه؟.. وكيف توصل الخفاش إلى ديناميكية الطيران، ليصمم جناحين ويغير

مقاييس جسده ليطير؟.. ولو كان أعمى حينها، فكيف كان يصطاد فرائسه بدون سونار؟.. ولو كان مبصرا حينها، فلماذا تخلي عن البصر ليلجأ إلى تقنية معقدة كالسونار؟.. وكيف تعلم حساب المثلثات وسرعة الصوت وتقدير الأبعاد والأحجام من صدى الصوت؟.. كيف تعلّم تأثير دوبلر ليعلم إن كانت الحشرة التي رصدها بالصدى تبتعد عنه أم تقترب منه؟ (سبحان من قال: "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى")

٢- أصلا من المستحيل أن يحكم أحد على حالة الأذن من حفرية مهترئة متحجرة من آلاف السنين.. وإذا صدقنا أن الأذن كانت غير كاملة فعلا، فأول احتمال أن يكون هذا بسبب ظروف الحفرية.

٣- ثم، ألا تفترض نظرية التطور أن الخفاش تطور من حيوان سابق (في الغالب هو الفأر أو أي من عائلته بسبب بعض أوجه التشابه الظاهري)؟.. فهل كان الفأر ــ أو أيا كان ذلك السلف ــ له أذن غير مكتملة؟.. الآذان مكتملة في كل الحيوانات منذ ملايين السنين!!

٤- دعونا من كل هذا، ولنصل إلى الجهل بعينه: مَلَكة السونار في الخفاش لا تتعلق بالأذن، بقدر ما تتعلق بقدرات الأحبال الصوتية والمخ على إصدار نغمات فوق صوتية وتحليل الصدى الناتج عنها.. فالحقيقة البسيطة التي يعرفها الجميع، هي أن الكلاب تسمع الموجات فوق الصوتية، والأفيال كذلك.. بل وكل الحيوانات بدليل أنها تصاب بالهياج قبيل وقوع الزلازل، لسماعها الموجات فوق الصوتية الناتجة عن تحرك صفائح القشرة الأرضية!.. لكن ذلك العبقري الذي لفق الدليل لم ينتبه لهذه الحقيقة البسيطة، وتكلم عن عدم اكتمال الأذنين في تلك الحفرية المزعومة!!

هذا مثال واحد ينبهكم لمدى الزيف والكذب والاستخفاف بالعقول الذي يملأ كلام أدعياء التطور.. عبر ١٥٠ عاما مضت، صاحوا وهللوا وصرخوا لكل دليل مزعوم، ثم بعد ثبوت خطئه يتجاهلونه وكأن شيئا لم يكن وينتقلون إلى الكذبة التالية بمنتهى الصفاقة!

٣- لماذا انقرضت الحلقات الوسيطة أصلا؟

صحيح أن كل حلقة وسيطة مزعومة هي أقل تطورا من النوع الذي تلاها، لكن صحيح أيضا أنها أكثر تطورا من النوع الذي سبقها.. فلماذا إذن انقرضت الحلقة الوسيطة، وبقي النوع السابق والنوع التالي؟

وإذا صدقنا جدلا أن الحصان تطور من الثعلب، والحوت تطور من الدب.. فلماذا بقي الثعلب والحصان على قيد الحياة إلى اليوم، وانقرضت كل الحلقات الوسيطة المزعومة التي كانت بينهما؟.. (كرر نفس السؤال بالنسبة للدب والحوت وباقي الأنواع التي يدعون تطورها).

إن كل ما هو أرقى من الثعلب أقدر على البقاء منه.. فلماذا بقي الثعلب وانقرضت كل تطوراته؟.. أليس من المفروض أن يبقى فقط أعلى كائن في فرعه على شجرة التطور المزعومة؟.. لو حدث هذا فإن عدد الأنواع الموجودة حاليا أكبر من المتوقع بكثير، لأننا لا نعرف لماذا ظلت الأنواع التي يسمونها بالبدائية موجودة إلى اليوم!

ولو قال قائل: إن بعض أفراد النوع الأول كانت معزولة عن الظروف القاسية في منطقة بعيدة غير التي حدث فيها الانقراض والتطور.. فلماذا لم ينطبق هذا على الحلقات الوسيطة أيضا؟.. لماذا لم ينقرض بعضها في منطقة، ويبقى بعضها معزولا في منطقة أخرى، خاصة أنا نعرف أن أنواع الحيوانات تتحرك من مواطنها وتنتقل من منطقة إلى أخرى تبعا لمواسم الجفاف والهجرة؟

إن انقراض الحلقات الوسيطة تبعا لفرضيات نظرية داروين نفسها، يعني أن هذه الحلقات لم تكن متكيفة مع البيئة، وبالتالي قَضى عليها الانتخاب الطبيعي.. هذا يدفعنا إلى سؤال قاتل: إذا كانت الحلقة الوسيطة غير متكيفة، فكيف تسلسل

منها نسلها وكيف وجد الفرصة ليتطور؟.. المفروض أن الطفرات العشوائية تحتاج إلى آلاف السنين بل مئات الآلاف من السنين في زعم الداروينيين لكي تُنتج شيئا مفيدا.. هذا معناه أن على نسل كل حلقة وسيطة أن يظل حيا طوال تلك السنوات لكي ينتج من تناسله الحلقة التالية.. فكيف ولماذا انقرضوا إذن؟
لدينا هنا احتمالان لا ثالث لهما:

أ - إما أن الحلقة الوسيطة كانت متكيفة مع البيئة فعاش منها ملايين الأفراد لآلاف السنين.. فلماذا انقرضت إذن؟

ب- وإما أنها كانت غير متكيفة فانقرضت فورا دون نسل، أو انقرضت في فترة وجيزة بعدد ضئيل من النسل، وبالتالي لم ينتج منها أي نوع تال!

دعونا ندرس هذين الاحتمالين:

أ- إن عاشت الحلقة الوسيطة طويلا وبأفراد كثيرة، فهذا يطرح علينا سؤالين:

١. أين هي حفريات تلك الحلقة الوسيطة؟.. ملايين الأفراد لآلاف السنين، لا بد أن يتركوا أثرا ما.. أليس كذلك؟

٢. ولماذا انقرضت الحلقة الوسيطة فجأة؟.. إن الظروف التي تكفي لقتل كل أفراد الحلقة الوسيطة، هي نفس الظروف التي يجب أن تقتل كل أفراد النوع الأول والنوع الثاني التي هي وسيطة بينهما!!.. فلماذا انقرض الوسيط وبقي الطرفان؟.. لماذا مثلا ظل لدينا ثعلب وحصان، وانقرض كل ما بينهما؟

ب- أما إن كانت الحلقة الوسيطة قد عاشت لفترة قصيرة بأعداد قليلة، فهذا ينسف نظرية التطور نسفا، فلن يتيح لها هذا الفرصة لحدوث الطفرات العشوائية والصدف الخلاقة المزعومة أثناء تناسلها لتؤدي

إلى ظهور نوع تال!.. بطريقة أخرى: لقد قضى عليها الانتخاب الطبيعي وصراع البقاء مبكرا، لأنها غير صالحة للحياة!!

والآن، أريدكم أن تأخذوا نفسا عميقا لتواجهوا معي هذه الحقيقة المخيفة:

هناك حوالي **٩ مليون نوع** من المخلوقات على ظهر الأرض.. لو افترضنا أن هناك حلقة واحدة وسيطة فقط بين كل نوعين، فهذا معناه أننا نبحث عن ٩ مليون حلقة وسيطة، وأننا نسأل كل الأسئلة السابقة عن كل حلقة منها: كيف ظهرت ولماذا انقرضت وأين حفرياتها!

لكن في الحقيقة، فكرة التغيرات التدريجية تقول إن من المفترض وجود آلاف الحلقات الوسيطة بين كل نوعين.. فإذا افترضنا وجود ١٠٠ مرحلة فقط بين كل نوعين من المخلوقات، فإن هذا معناه أننا نبحث عن ٩٠٠ مليون حلقة مفقودة على الأقل!!

وإذا أخذنا في الاعتبار أن هناك آلاف الأنواع التي انقرضت نهائيا وليس لدينا أي تطورات لها الآن (مثل الديناصورات)، وأنها جاءت من حلقات وسيطة أيضا.. فربما يصل العدد إلى ٩ مليار حلقة مفقودة أو أكثر!!

فكم حلقة مفقودة منها ادعى الداروينيون العثور عليها؟

٤- لماذا لا تتطور حلقات وسيطة جديدة في عالمنا اليوم؟

عمر الكرة الأرضية حوالي ٤,٥ مليار سنة.. بافتراض أن هناك ٩ مليار حلقة وسيطة، وأن الحياة ظهرت منذ نشأة الأرض مباشرة (وهذا غير صحيح لأنها كانت ملتهبة وغير صالحة للحياة، لكن سنفترضه)، فهذا يعني أن كل عام من تاريخ الأرض شهد على الأقل ظهور حلقتين وسيطتين جديدتين بواسطة الطفرات.. هذا يدفعنا إلى سؤال جديد:

أليس من المفروض أن تكون قد ظهرت على الأرض ٣٠٠ حلقة وسيطة جديدة على الأقل منذ وفاة داروين حتى اليوم، موزعة على كل أنواع المخلوقات؟.. فأين هي هذه الحلقات؟.. وما هي الأنواع الجديدة التي نتوقع أن تؤدي إليها؟

يحلو للبعض أن يجيبوا عن هذا بقولهم إن التطور يحتاج إلى عشرات الآلاف وربما مئات الآلاف من السنين لكي يحدث.

رائع.. لكن هل خلقت الأرض بالأمس؟

إن الفضاء الزمني متصل.. بمعنى أن هناك ٩ مليون نوع من المخلوقات على ظهر الأرض، لم تظهر كلها معا، وإذا صدقنا نظرية التطور المزعومة، فلا بد أن يكون كل نوع من هذه المخلوقات في مرحلة تطورية مختلفة عن الآخر، ومن الطبيعي أن نرى كل عام (ولن أقول كل يوم) ظهور نوع جديد لأنه كان في طور التغير التدريجي المزعوم من آلاف السنين وربما عشرات ومئات الآلاف من السنين.

لكن كل الأسئلة السابقة كوم، والسؤال التالي كوم وحده:

٥- أين هي حفريات المحاولات التطورية الفاشلة؟

كل الأسئلة السابقة كوم، وهذا السؤال التالي كوم وحده:
إذا كانت الطفرات العشوائية هي المسئولة عن إنتاج أفراد مختلفين، وكان الانتقاء الطبيعي مسئولا عن قتل الأفراد المشوهين وغير المتكيفين منهم.. إذن فنحن لا نتكلم فحسب عن حلقات مفقودة على سلم التطور، بل نتكلم كذلك عن ملايين المحاولات الفاشلة بين كل حلقة مفقودة وأخرى، لأن المعروف أن معظم الطفرات ضارة (إن لم تكن كلها بلا استثناء)!!
فإذا افترضنا فرضا جدلا أن طفرة واحدة تصنع تغييرا إيجابيا من كل ألف طفرة تحدث (وهذا احتمال متفائل، لأن نسبة الطفرات الضارة أكبر من هذا بكثير)، فإن هذا معناه أن هناك ٩٩٩ محاولة فاشلة لكل حلقة وسيطة، ولدينا على الأقل ٩٠٠ مليون حلقة وسيطة (من فرض سابق).. هذا يعطينا ما يقترب من ٨٩٩ ألف مليار (أي حوالي ٩ ترليون) محاولة فاشلة على الأقل، نتجت فيها أنواع مشوهة من المخلوقات لم تستطع الاستمرار لفترات طويلة وسرعان ما انقرضت.

ملحوظة:
مرة أخرى نؤكد أن كل تلك الأرقام التي حصلنا عليها ــ رغم ضخامتها ــ هي الحد الأدنى، كمحاولة منا لتبسيط النقاش.. لكن في الواقع الأمور أعقد بكثير.. مثلا: لا يوجد ما يمنع من أن تكرر الطفرة المزعومة إنتاج نفس المحاولة الخاطئة أو حتى الناجحة في كائنات مختلفة مرارا وتكرارا، فالصدفة عمياء، ولا تتعلم من تجاربها أي شيء!.. لهذا لا يوجد ما يمنع افتراض حدوث طفرة

انتكاسية، تحول الفيل إلى بعوضة دفعة واحدة أو عبر ملايين المراحل الانتكاسية، فالمسألة كلها نوع من العبث بالمعلومات الوراثية على شريط DNA!!!

لهذا فالحدود مفتوحة لمضاعفة هذه الأرقام آلاف وملايين ومليارات المرات، إذا تجاوزنا الافتراضات الضئيلة التي بنينا عليها حساباتنا.. إن ١/١٠٠٠ هو احتمال رياضي تافه، وما يحدث في الواقع أعقد من هذا بكثير.

والسؤال هو: أين هي حفريات هذه المحاولات الفاشلة المزعومة؟
هل العثور على بضعة آلاف من كل تلك الكائنات المشوهة التي صرعتها التجارب الداروينية العمياء الفاشلة، يبدو صعبا لهذه الدرجة؟
وحتى لا يظن أحد أنني أتكلم هنا عن عيوب بسيطة في أحد الأفراد، وهي قد تحدث لأسباب مرضية معروفة، دعوني أوضح ما أقصده بالطفرات الضارة بمثال واحد:
توجد الأسنان بالفم لطحن الطعام، واللعاب لتذويبه، قبل بلعه إلى المعدة لتقوم عصاراتها المختلفة بهضمه، بما يناسب أنواع الطعام التي يتعامل معها كل مخلوق.. السؤال هو: لو صدقنا أن هذا التصميم المحكم نشأ بتراكم الصدف بدون تخطيط واع، فلا بد إذن أن تكون الطفرات قد قامت بكل التباديل والتوافيق الممكنة إلى أن حدث هذا التصميم الدقيق، فاستمرت السلالة التي تحمله في الوجود.. إذن، فلا بد أن تكون طفرة ضارة في يوم ما قد أدت إلى ظهور الأسنان في الركبة بدلا من تجويف الفم.. المفروض تبعا للصدف العشوائية المدّعاة أن يكون هذا احتمالا واردا، ولا بد أن يكون قد حدث ضمن تريليونات تريليونات .... تريليونات المحاولات الخاطئة والعبثية في مسيرة التطور المزعوم، ونظرا لعدم ملاءمة هذا التطور العشوائي لحياة الكائن، فقد

عجز عن الحياة بعد فطامه، لأنه لا يستطيع طحن الطعام بأسنان على ركبتــه، وبالتالي مات جوعا.. فأين هي إذن الحفرية التي تؤكد هذا الافتراض؟.. أيــن حفرية الكائن الفاشل الذي ظهرت أسنانه في كفه؟.. وأين حفرية الكائن الفاشل الذي ظهرت أسنانه في صدره؟.. وأين حفرية الكائن الفاشل الذي ظهرت أسنانه في عموده الفقري؟... إلخ.

إن هناك مليارات التجارب الخاطئة المحتملة فيما يتعلق بالأسنان وحدها: أيــن تظهر، وما مدى صلابتها (الأسنان الرخوة لا قيمة لها)، وما تصنيفاتها (قواطع، أنياب، ضروس بالترتيب الصحيح في الأماكن المناسبة)، وما أطوالها ومقاييسها الهندسة (لو طالت الأسنان عن اللازم فسيموت الكائن أيضا لأنه لــن يســتطيع استخدام فمه!!).. إلخ.

هذا عن الأسنان وحدها.. قيسوا هذا على كل عضو في الجسم.. بل كل إنــزيم وبروتين.. بل كل خلية!.. الاحتمالات خارج نطاق الحصر!

هناك على سبيل المثال أكثر من ٣٠ ألف بروتين وإنزيم في جسم الإنسان، لكل منها وظيفة متخصصة، وحدوث أي خلل في مكان أو زمــان عملهــا، أو أي زيادة أو نقص في كمياتها، يؤدي إلى مرض معين، قــد يكــون قــاتلا.. كــمّ التجارب المحتملة مع هذه البروتينات والإنزيمات، يصل إلى (٣٠ ألفا أس ٣٠ ألفا) أي ثلاثة أضعاف الرقم ١٠ أس ٩٠ ألفا.

ملحوظة:

عدد أنواع البروتينات المعروفة حتى الآن حوالي ٦ مليون نوع، واحتمــال أن تختار الصدفة منها ٣٠ ألف نوع بشكل صحيح لتناسب جسم الإنسان، يســاوي (٦/١ مليون) أس ٣٠ ألفا.. وهذا الرقم يجب أن نضربه في احتمال وضع كل بروتين في موضعه الصحيح من الجسم.. هذا يعني أن الاحتمال النهائي سيصل

إلى ١/(١٠ أس ٢٧٠ ألفا)، وهو يساوي صفرا بلا تفكير، لأن الرقم ١٠ وعلى يمينه ٢٧٠ ألف صفر هو ما لا نهاية بالنسبة لنا، ولا يكفي عمر الكون ولا تريلون كون مثله لتجربة كل احتمال منها مرة واحدة فقط، حتى لو حدثت طفرة في كل ثانية، في كائنات بعدد ذرات الكون وتريليون كون مثله معه!

لكي تفهموا لماذا أقول هذا، أخبركم أن بعض العلماء قدر عدد ذرات الكون بـ (١٠ أس ١٠٠) ذرة فقط.. هذا رقم لا يستهان به ولا نستطيع حتى تخيله، لكنه رغم هذا يساوي صفرا أمام الاحتمال الذي تحدثنا عنه!

فما بالكم لو عرفتم أن الصدفة في كل تجاربها المدعاة لا تتعلم من أخطائها، لهذا يمكن أن تظل تكرر نفس الأخطاء إلى ما لا نهاية دون أن تصل إلى شيء؟ فأين في سجل المتحجرات ما يثبت لنا حدوث هذه التجارب العبثية؟

عموما، حتى نحسم كل هذه الخيالات الداروينية الوهمية غير العلمية، يمكننا أن نلخص المسألة بالشكل التالي:

إن حصيلة الصدف والطفرات العشوائية الداروينية المفترضة عبر تاريخ الأرض، هي تطور الحياة من خلية واحدة فقط، إلى مخلوق معقد يتكون من ١٠٠ ترليون خلية هو الإنسان، عبر كل المراحل البينية الوسيطة التي تمثل المخلوقات المختلفة الأخرى.

إذن فخلاصة المسألة هي البحث عن احتمال ترتيب ١٠٠ ترليون خلية بالترتيب الصحيح بالصدفة.. بقوانين الرياضيات، فإن احتمال حدوث هذا بدون تدخل مصمم ذكي واع، وبمجرد الصدفة والطفرات العشوائية، هو ١ / (١٠٠ ترليون أس ١٠٠ ترليون)، وهذا يساوي ١/ (١٠ أس ١٤٠٠ تريليون)، وهو احتمال نسبته صفر بلا أي جدال.

وهكذا نصل إلى نفس الاستحالات على كل المستويات.. وحتى حينما حسبنا في موضوع آخر كل التراتيب الممكنة للشفرات على الشريط الوراثي DNA، حصلنا على الرقم (١٠ أس ٥ مليار)، وهذا يعني أن المحاولة العشوائية لاستخراج الشفرات الوراثية الصحيحة لكل نوع من أنواع المخلوقات الحية ولكل فرد من أفراد هذه الأنواع، هو أمر مستحيل تماما ويساوي صفرا.. لأنه حتى لو كانت البكتريا بعدد ذرات الكون، فإنها لا تساوي شيئا أمام هذا الرقم!
إننا نصل إلى نفس النتيجة من جميع السبل!

الخاتمة: الداروينية علم أم دين؟!

والآن، بعد أن تفحصنا الأسئلة الخمسة، هل بقي لدينا شك في أننا نتكلم عن **(أصول مفاجئة)** كما اعترف بذلك جيفري شوارتز وهو من أنصار التطور؟

لقد أخطأ الداروينيون في اعتقادهم أنهم يبحثون عن الحلقات المفقودة فحسب.. فالحقيقة أن كل شيء مفقود في هذه النظرية أصلا!!

تذكروا مرة أخرى أن نظرية داروين الأصلية لم تكن تحتوي على أي تجريب عشوائي، بل كان داروين يظن بسذاجة ناتجة عن قلة علمه، أن التغيرات تحدث بصورة عادية للمخلوقات الحية نتيجة ظروف البيئة، فتجعلها متكيفة معها، بينما يختفي النوع السابق الذي صار غير قادر على التكيف.. أي أن داروين كان يعتقد بوجود آلية معينة في الكائنات الحية تتيح لها التغير تبعا لظروف البيئة.. لكن بعد اكتشاف علم الوراثة والشفرة الوراثية وتأكدنا من أنهما يعملان على ثبات الأنواع لا تطورها، سقط أتباع داروين في مطب قاتل، جعلهم مضطرين للحديث عن حدوث التطور بالطفرات العشوائية في الشفرة الوراثية، مما جعل نظرية داروين تنقلب رأسا على عقب من نظرية علمية سببية، إلى فوضى عبثية وتجريب عشوائي أعمى بدون دافع، تتحكم فيه الصدفة لا العلم!!

فبدلا من حدوث التغيرات في إطار تفاعل الكائن مع ظروف البيئة، صارت كل التغيرات متاحة بغض النظر عن ظروف البيئة، سواء التغيرات التي تجعل الكائن متكيفا، أو التي تجعله غير متكيف أو مشوها أو تقتله، ثم تتدخل ظروف البيئة للتخلص من المخلوقات المشوهة بعد ذلك!.. وهذا هو ما تثبت الرياضيات استحالة حدوثه بشكل قاطع كما رأينا.

والمضحك في الأمر أن الذين يدافعون عن هذه الخرافات، يسمونها علما، ولو أنه علم فعلا، وكانت الطفرات العشوائية هي التي تطوّر الأنواع بعضها من البعض، لكانوا وضعوا لنا توزيعا احتماليا رياضيا مقنّنا يبيّن كل أوجه هذه الظاهرة ويراعي كل ظروفها، لكي يمكننا من منحنى هذا التوزيع أن نعرف احتمال ظهور أي نوع في أي عصر، ونتوقع ظهور أنواع جديدة في أي مرحلة مستقبلية.

إن الإحصاء علم يستخدم في الكثير من المجالات اليوم، وهناك توزيعات احتمالية كثيرة في العلم بالفعل، ولا أحد ينكرها.. على سبيل المثال لا الحصر: الكلام الذي نكتبه هنا الآن عبر الإنترنت والحاسوب، مبني على تقنية أشباه الموصلات semi-conductors، وهي مبنية على توزيع احتمالي يسمى Maxwellian Tail يستخدم للتأكد من مستوى فرمي Fermi Level وبنيت عليه دالة ماكسويل بولتزمان Maxwell Boltizman function، ويستخدم هذا التوزيع الاحتمالي لتوقع عدد الفجوات والالكترونات في شبه الموصل في أي لحظة.

إن علم الاحتمالات علم معتبر في التطبيقات العملية والهندسية وعلم الوراثة بل والاقتصاد، وليس مجرد نظريات في الكتب فحسب، وهو علم أصيل في الفيزياء الحديثة غير الكلاسيكية.

فأين هو التوزيع الاحتمالي الذي يقنن لنا نظرية التطور بواسطة الطفرات؟

ومنذ متى نسمي الصدفة علما؟.. أليس العلم مبنيا على القوانين المطّردة، التي هي عكس الصدفة؟!!

وفي النهاية: ما بني على باطل فهو باطل.. داروين كان مجرد طالب طب فشل في دراسته فانتقل إلى دراسة اللاهوت، ولم يكن متخصصا أصلا لا في الجيولوجيا ولا في الإنثربولوجيا ولا في الأحياء، وكل كلامه بناه على

ملاحظات سطحية في ظل علوم متخلفة سادت عصره، ولم يكن يعرف شيئا عن علم الوراثة والمجهر الالكتروني و DNA والجينوم والإحصاء والاحتمالات وعلوم النظم والتحكم والبرمجة، فكلها ظهرت بعد موته!.. حتى الطب نفسه الذي فشل فيه، درسه في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وطبيعي أنه كان سطحيا ومتخلفا مقارنة بالطب اليوم، الذي صار أكثر تخصصا وغزارة وإلماما بمعجزات الجسم البشري في ضوء كل الآلات العلمية المساندة التي يستخدمها الأطباء اليوم! (مما نعرفه طبيا اليوم، يكفينا تعقيد المخ والأعصاب لنفي أي احتمال لأي صدفة).

الخلاصة:

التطور، هو خرافة إلحادية تنافي قواعد العلم المعروف، فشل كل من حاول تقديم تصور علمي لكيفية حدوثها، مثل لامارك (توارث الصفات المكتسبة) وداروين (الانتقاء الطبيعي وصراع البقاء) والداروينيين الجدد (الطفرات الجينية والانتقاء الطبيعي)، ورغم هذا ما زال الملحدون يدافعون عن هذه النظرية باستماتة، ويصرون على أنها حقيقة علمية بدون أي دليل علمي، لأنهم لا يملكون غيرها!!

وهذا نوع من الإيمان الغيبي، الذي يجعل التطور والداروينية مجرد ديانة شيطانية لا علما!.. فالظن بأن القرن القادم أو بعد القادم أو بعد بعد القادم، سيقدم لنا آلية علمية تثبت حدوث التطور، هو اعتقاد ديني وليس علميا!!.. فالعلم يتقيد بنتائج الماضي والحاضر، ولا يستميت في اعتناق ما تنفيه كل قواعد العلم المعروفة الآن انتظارا لمستقبل مجهول!

لهذا يظل إيماننا بالجن والملائكة إيمانا غيبيا لا علميا، لأننا لم نَرَهمـــا.. وهـــذا ليس ذما للمؤمنين بالله سبحانه، فقد مدحهم الله سبحانه بأنهم (يؤمنون بالغيـــب)، ولو كان الإيمان بالحضور لما كان هناك تكليف لعدم وجود اختبار.

وكذلك يظل إيمان الملحدين بالتطور إيمانا بالغيب، لأن كل ما نعرفه من قواعد العلم اليوم ينفيه!

لهذا أقول لكل من يصدق خرافة داروين:

لقد خدعوك يا عزيزي.. هذه الخرافة ماتت تماما بشكل علمي منذ نصف قرن، حتى ولو كان أقاربها من الدرجة الأولى ما زالوا يرفضون تصديق هذه الحقيقة الفاجعة، ويحتفظون بالجثة محنطة رافضين تشييع جنازتها، رغم أن رائحتهـــا فاحت وأزكمت الأنوف!

لهذا أرجو منك أن تفكر لخمس دقائق فقط في هذا الكلام قبل أن تُخلد إلى النوم اليوم، وأنا متأكد أنك حينما تصحو غدا وتغسل وجهك، ستضحك في اســـتمتاع وأنت تقول لنفسك:

- يااه.. يبدو أنني رأيت حلما مسليا عن خرافة اسمها الداروينية!

محمد حمدي غانم

٢٠١٠/١٠/١

ناندينو كمبورس

نحن هنا لنطرح أعظم نظريات القرن الحادي والعشرين:

نظرية ناندينو كمبورس لابن غانم

يصر بعض المساكين ممن يتهمون أنفسهم زورا بالعلم والتفكير العلمي، على أنّ الخلية الحية ــ على تعقيدها ــ قد نشأت بالصدفة، متذرعين بمرور ملايين السنين على الأرض، وهو زمن هائل بالنسبة لهم، لكنه في الحقيقة زمن هين بالنسبة لتعقيد الخلية والاحتمالات الإحصائية، ولا يعني شيئا.

وأنا أسأل هؤلاء:

أليس من المنطقي أن تكون أشياء أقلّ تعقيدا بكثير من الخلية قد تكوّنت هي الأخرى بالصدفة؟

ماذا عن دائرة متكاملة بسيطة مثل NAND، وهي تتكوّن من ثلاثة ترانزيستورات فقط، علما بأنّ الترانزيستور ما هو إلا وصلتين من أشباه الموصلات Semi-conductors، كل وصلة منها مجرد سيلكون مشوب بفلز آخر.. وهذه الدائرة تصنع متكاملة، حيث تطبع مباشرة من السيلكون والشوائب والمواد العازلة، لتخرج في صورة دائرة NAND.

طيب.. أليس احتمال تكوّن هذه الدائرة في الطبيعة صدفةً، أسهل وأبسط بمراحل من تكوّن الخلية الحيّة بالصدفة؟

إننا في النهاية نتكلم عن بعض الرمل (فالسيلكون هو المادة الأساسية في الرمل) وهو يملأ أرجاء الكرة الأرضية، وملايين السنين كافية وأكثر من كافية لتفعل به المعجزات، تبعا لنظرية الصدفة الخلاقة المزعومة، أو كما يسمونها التطور!

فهل يا ترى تمّ العثور في طبقات الأرض المختلفة على شرائح تحتوي على هذه الدائرة؟

وطبعا، إن كان تكون NAND بالصدفة أمرا واردا، فمن المنطقي أن نتوقّع العثور على دوائر أخرى مثل AND و OR و NOR و NOT.. وربّما تكون بعض هذه الدوائر قد اتصلت بالصدفة، فكّونت Half Adder (وهي دائرة تجمع خانتين جمعا حسابيا بنظام العد الثنائي).. وباتحاد اثنين منها تكوّنت

دائرة Full Adder (وهي دائرة تقوم بجمع خانتين ثنائيتين مع الأخذ في الاعتبار باقي جمع خانتين سابقتين).. وبصدف بسيطة أخرى نشأت دوائر الطرح والضرب والقسمة!

وعلى مسار آخر، كانت مجموعات من السلف NAND قد اتحدت بالصدفة لتكوين أوّل قلاّب Flip Flop، وبتواليف منه ظهرت بالصدفة مسجلات القيم Registers، وبتجمع هذه الأشياء معا ظهرت وحدة الحساب والمنطق ALU إلى الوجود بالصدفة... وهكذا أخذت الطبيعة عبر ملايين السنين تكوّن أول مشغل دقيق Microprocessor في الوجود!

وهكذا استمرت سلاسل الصدف السعيدة بلا كلل ولا ملل عبر عشرات الملايين من السنين لصنع باقي أجزاء الحاسب الآلي!

ليس هذا فقط، فقد حدث بالصدفة أن وصل سلك هذا الحاسب إلى بركة حمضية تولّدت فيها الكهرباء، فبدأ عمله، ومع بعض الصدف الصغيرة، راحت المعلومات تُختزن عشوائيا في ذاكرته، فتكوّن فيه أوّل نظام DOS، لم يلبث أن تطوّر بالصدفة إلى أوّل ويندوز، ثمّ توالت إصدارات هذا الويندوز، وظهرت تطبيقات المكتب وبرامج عرض الصور والأصوات والأفلام، ثم ظهرت تطبيقات الرسوم المجسمة، وبدأت تصنع بالصدفة نماذج أفلام ثلاثية البعد فيها نباتات وحيوانات وبشر.

ثمّ تطوّرت لغات البرمجة على ذلك الكمبيوتر، وبدأت تتحوّل بالصدفة إلى لغات ذكاء صناعيّ!!

وعلى مسار آخر، كانت تتطوّر آلات ومحركات، فاستخدمها برنامج الذكاء الصناعي ليصنع الإنسان الآلي، الذي استغل ذكاءه وبراعته الكيميائية لتخليق أوّل خلية حيّة معملية، وصنع نماذج النبات والحيوان والإنسان التي أنتجتها برامج الرسوم المجسمة، ليجعل من الكرة الأرضية مكانا أجمل!!

وفي مسار آخر، كان واحد من الأناس الآليين يفكّر أنّه لا يمكن أن يكــون قــد جاء إلى الوجود بالصدفة، فاخترع فكرة الصانع الأوّل، وعلّمها لبعض الكهان، قبل أن تحلّ كارثة جيولوجية على الأرض تقضي على الحواسب والآلات فلــم تبقَ إلا بعض البشر والكائنات الحية!!!

جميل... أنتم الآن تتابعون الفتح العلمي الذي أهلّ به على العالم، والذي سيحمل في مجلدات العلم اسم نظرية غانم، وكلّ ما على العلماء من الآن فصاعدا هــو أن يبحثوا عن بقايا NAND التي انقرضت في طبقات الصخور الأولى!

وسيأتي عالم عبقريّ، ويكتشف أنّ كتلة من الرمال مشوبة بالفسفور قد تصــلح كبداية لأشباه الموصلات، وتوضع في متاحف التاريخ الطبيعي، وتمنح الاســم العلمي سليكينو ناندينو!!

ثمّ يفكّر آخر في تلفيق دليل من أجل الشــهرة، فيلفــق أوّل NAND بدائيــة، وتعرف في المراجع باسم ناندينو كمبورس!!

وهكذا تتوالى الاكتشافات العلمية العبقرية التي تؤكد نظرية غانم، مهمــا عــلا صراخ أعداء العلم والحقيقة!!

وسنواجه مثل هؤلاء السذج دائما بقولنا: أيها المغفلون الحمقي: أنــتم تؤمنــون بنظرية بائدة اسمها الداروينية، بينما الكائنات الحية هي مــن صــنع الكمبيــوتر المفكر (فلنمنحه اسم: ألفا كمبورس)، تبعا لنظرية غانم!!.. متى ستتخلصون من هذه الخزعبلات الميتا-حاسوبية التي تؤمنون بها؟!

والآن:

هل من تقدمي تحوسبي مؤيد لهذه النظرية؟

مهلا.. تروّوا في أحكامكم.. من يزدري النتيجة التي وصلت إليها نظرية غانم، فعليه أن يعود إلى البداية: هل من المستحيل تكوّن NAND بالصدفة؟.. تذكروا

أنه مهما كان الاحتمال ضئيلا، فلدينا ملايين السنين لحدوث الصدفة.. إنه نفس الكلام الساذج الذي تقولون إنه علم، وإنه أصل المخلوقات الحية؟!!.. فلماذا ترفضون هذا وتصدقون ذاك؟!!

يقول السير فْرِد هويل في إحدى مقابلاته التي نُشرت في مجلة الطبيعة في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٨١:

"**إنّ ظهور خليّة حيّة للوجود عن طريق الصدفة، يشبه ظهور طائرة بوينج ٧٤٧ عن طريق الصدفة، نتيجة هبوب عاصفة على محلات لأدوات الخردة**"!!!!!!!!!!!!!

حقا:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

التصميم الذكي
Intelligence Design

هناك سؤال مهم، قد يسأله الكثيرون لأنفسهم:

إذا كان كل ما ذكرناه في هذا الكتاب صحيحا، عن وجود تصميم مبهر في تركيب الكائنات الحية، سواء على المستوى الجسدي، أو المستوى المعلوماتي، فلماذا ما زالت نظرية داروين تدرس في المدارس والجامعات إلى يومنا هذا، وتسوق على أنها نظرية علمية صحيحة؟

للإجابة عن هذا السؤال، عليكم مشاهدة فيلم وثائقي صدر عام ٢٠٠٨، وهو بعنوان:

Expelled: No intelligence allowed

وترجمته بالعربية: مطرودون: لا يُسمح بالذكاء!

وأنا أؤكد لكم، أنه سيمنحكم الإجابة الشافية عن هذا السؤال، وأنكم ستجدونه ذا مصداقية عالية، لأنه يجري لقاءات بين أنصار نظرية التصميم الذكي، ومن يحاربونها من أنصار نظرية التطور، وهذا عكس ما يحدث في الأفلام التي تنتجها الجهات المؤيدة للداروينية، التي لا تقدم إلا الداروينيين وتحاول أن توهم المتفرج بقوة أدلتهم، استنادا إلى عدم تخصصه وقلة ثقافته العلمية!

لكن ليت الأمر يتوقف عند هذا الحد، بل إن كل من يعارض نظرية داروين في الأوساط العلمية أو الإعلامية، يتم رفته من وظيفته والتشهير به.. وسنلتقي بالعديد ممن حدث لهم هذا في فيلم "المطرودون Expelled".. أنتم الآن تفهمون سبب تسمية الفيلم بهذا الاسم!

ولكن هل نظرية التصميم الذكي نظرية علمية، أم علم زائف كما يدعي الداروينيون؟

يظن البعض أنه من المستحيل أن نجلس في المختبر لنرى الإله.. لكن العلم لا يتعلق فقط بما نراه في المختبر، بل يتعلق أيضا بالبحث في الفرضيات ومدى صمودها أمام المعايير العلمية والقواعد الرياضية.. وعند البحث في ادعاء

الداروينيين بأن الأنماط والنظم الموجودة في الكائنات الحية تولـــدت تـــدريجيا بالصدفة من خلال طفرات عشوائية عميـــاء، أثبتـــت الرياضـــيات وحســـابات الاحتمال بما لا يدع مجالا للشك أن هذا مستحيل!.. فإذا استبعدنا فكرة الصدفة، فإن الاحتمال العلمي الوحيد المتبقي هو: وجود مصمم واع ذكي له قصد أنشـــأ هذه النظم.. هذا كلام علمي بحت، تقوله نظرية التصميم الذكي، التـــي تحـــاول باستماتة شق طريقها في الأوساط العلمية، رغم اســـتخدام الـــداروينيين لكـــل الوسائل لقمعها، بما في ذلك إبعاد كل من يبحث في هذه النظرية، أو يتكلم عنها في وسائل الإعلام الشهيرة!

كما يتهم الداروينيون هذه النظرية، بأنها مجرد ثـــوب جديـــد لنظريـــة الخلـــق المسيحية.. لكن الحقيقة أن هذه النظرية لا تتطرق من قريب أو بعيد إلى ماهية المصمم الذكي أو أين هو أو ماذا يريد منا، ولو تم تدريسها في المدارس، فلـــن تحتوي مناهجها على أي مقاطع من أي كتاب مقـــدس، بـــل ســـتحتوي علـــى الرياضيات والاحتمالات التي تبحث في أدلة علم الأحياء!!

ومن الغريب أن ريتشارد دوكينز ــ أحد أكبر دعاة الإلحاد والتطور في العـــالم ــ يعترف في المقطع الأخير من الفيلم الوثائقي Expelled بأن التصميم الذكي قد يكون الإجابة عن أصل الحياة الذي لا يعرفه العلم المادي حتى اليـــوم، وأن علم الكيمياء الحيوية وعلم الأحياء الجزيئية قد يجدان توقيع ذلك المصـــمم فـــي الخلايا الحية.. هذا اعتراف خطير من ملحد تطوري لم يعد يجد مخرجـــا مـــن مأزق الداروينية، إلا أن يفترض أن هذا المصمم هو كائن من كوكب آخـــر!.. ورغم غرابة هذا الزعم، إلا أنني مستعد لتقبله كفرض علمي، أو حتى كخيـــال علمي.. ففي كل الأحوال، هو أذكى وأكثر منطقية وعقلانيـــة مـــن ادعـــاء أن الصدفة صنعت شفرة برمجية تتكون من ١٠ آلاف مرجع مكدسة على شـــريط DNA الذي لا يرى بالعين المجردة، لتصنع هذه الشفرة نظما متكاملة وأنماطا

متكررة في الكائنات الحية، وعلاقات تبادلية في النظم البيئية تدخل في نطاق التعقيد غير القابل للاختزال.. إن افتراض أن الصدفة فعلت كل هذا، هو ضد كل ما نعرفه من قواعد العلم في جميع المجالات!

لكن يظل السؤال يلحّ: لماذا يحارب الغرب نظرية التصميم الذكي بمثل هذه الشراسة؟

لكي نفهم خلفيات الصراع المستميت بين الداروينيين وأنصار التصميم الذكي، يجب أن نعود بالتاريخ إلى الوراء، إلى أيام محاكم التفتيش في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، والتي لم تكن موجهة ضد المسلمين واليهود في الأندلس وَقَط، بل كانت موجهة أيضا ضد أتباع مارتن لوثر من البروتستانت في ألمانيا وباقي دول أوروبا، وكذلك ضد الموحّدين المسيحيين.. والأسوأ من هذا أن العلماء أيضا لم يسلموا منها، فكل من جاء بفكرة جديدة اتهمته الكنيسة بالهرطقة وحاكمته، مثل جاليليو وكوبرنيكوس.. وقد أدى هذا إلى ظهور العلمانية في أوروبا، واشتعلت الحرب بين الفريقين، واستخدمت فيها الطباعة التي ظهرت حينها، وكانت الكنيسة تُعدم من تجد عنده ولو ورقة مطبوعة واحدة! (يمكنكم عيش هذه الأجواء الكابوسية في فيلم أحدب نوتردام لفيكتور هوجو).

وكان من نتائج هذا العنف الدموي، استخدام الثوار العلمانيين للعنف المضاد بعد نجاحهم في الوصول إلى الحكم في فرنسا، حيث سالت الدماء أنهارا على المقاصل، وكان شعار الثورة الفرنسية: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس!

هذا التاريخ لا يمكن نسيانه بسهولة.. وبسببه هناك فوبيا (خوف مَرَضيّ) في الأوساط العلمية الغربية من أن الاعتراف بانهيار نظرية داروين، والتصديق على نظرية التصميم الذكي، سيعني بالضرورة عودة الكنيسة للسيطرة على الوسط العلمي والسياسي والاجتماعي في الغرب، لتعود العصور الوسطى ومحاكم التفتيش من جديد!

هذا يحيلنا مرة أخرى إلى اتهام نظرية التصميم الذكي بأنها نظرية دينية وليست علمية.. فرغم أن نظرية التصميم الذكي لا تتطرق إلى أي تفاصيل دينية، إلا أن هذا لم يرحمها من الاتهام بأنها نظرية دينية، وأن الكنيسة هي من يقف وراءها.. لكني أرى أن هذا من قبيل الحرب الدعائية والتشويه المتعمد.. فالحقيقة أن داروين نفسه بعد أن فشل في دراسة الطب (!!) درس اللاهوت، وهو مدفون حاليا في إحدى الكنائس!!

ومندل الذي وضع علم الوراثة كان راهبا!

وكثير من العلماء الذين أضافوا إلى الفيزياء والرياضيات كانوا متدينين مسيحيين أو يهودا، ومن قبلهم المسلمون الذين وضعوا كل أسس العلوم العصرية الحديثة!

لهذا، فإن محاولة نسبة أي نظرية علمية إلى اعتقاد صاحبها أمر غير علمي أصلا.. كما أن الوصول إلى ماهية المصمم من خلال الفيزياء والرياضيات أمر غير وارد، فهذه مهمة الوحي والأديان.. فما هو الدين الذي يجب أن تتبناه النظرية؟.. هذا سيدخلها في جدل ديني ليس من اختصاص العلماء، لذا فهي تنأى عنه.. وهذا يترك لكل منا حرية الإيمان بالمصمم الذكي كما تخبره عقيدته.

بالنسبة لنا ــ نحن المسلمين ــ فنحن نؤمن بأن الله سبحانه هو بديع السماوات والأرض وخالق كل شيء، وهو المهندس الأعظم الذي أبدع كل هذه التصميمات الرائعة في الجماد والأحياء.. سبحانه وتعالى عما يشركون.. وهذا يعني أن اقتناعنا بمقدمات نظرية التصميم الذكي، لا يعني بالضرورة أننا نؤمن بنظرية الخلق المسيحية، فشتان بين هذا وذاك.

مطرودون: لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

ترجمة وعرض: م. محمد حمدي غانم

http://mhmdhmdy.blogspot.com

أظنني أول من يقدم ترجمة عربية لهذا الفيلم الوثائقي المثير، الذي يلتقي فيه المذيع الأمريكي اليهودي بين ستاين مع أنصار نظرية التصميم الذكي وأعدائها أيضا، ليكشف لنا كم الاضطهاد والقمع والتعتيم التي تمارس ضد هذه النظرية من قبل أنصار نظرية التطور الداروينية، المفروضة جبرا على كل الأوساط العلمية في العالم أجمع ــ بما في ذلك بلادنا ــ رغم أنها لا تستند إلي أي دليل علمي ثابت، بل على العكس، تنفيها كل الاكتشافات العلمية التي توصل إليها العلماء منذ مطلع القرن الماضي وحتى اليوم، بما في ذلك سجل الحفريات، وعلم الوراثة، والبيولوجيا الجزيئية وDNA وخريطة الجينوم، بل وحتى قوانين الديناميكا الحرارية!

وإذا كانت خرافة داروين، هي الكتاب المقدس للملحدين في العالم، وانبثقت منها كل الأيدلوجيات المنحرفة كالماركسية والنازية والعنصرية، فإن نظرية التصميم الذكي تنفي تماما فكرة الصدفة والعشوائية في خلق الكون والحياة، وتستند إلى الرياضيات والإحصاء والاكتشافات الحديثة في تركيب الخلية والحمض النووي الوراثي، لإثبات أن كل هذا التعقيد غير القابل للاختزال، لا يمكن أن ينشأ نتيجة الصدفة أو الطفرات أو التحورات البطيئة طويلة المدى، بل يجب أن يكون وراءه خطة ومصمم مبدع يتقن عمله.. ورغم أن هذه النظرية لا تتطرق إلى كنه هذا المصمم، لأن هذه هي وظيفة الأديان، إلا أنها تثير جنون الداروينيين والملحدين، لأنها تسحب منهم الكهنوت العلمي الزائف الذي كانوا يدعونه، باعتبار أن العلم ضد الدين في نظرهم المحدود، لهذا قرروا أن يحاربوا هذه النظرية بكل وحشية، باستخدام التعتيم والتكميم والقمع والمنع من النشر والحرمان من نيل الدرجات العلمية والمنح البحثية، وهو ضد كل ما يدّعونه من حرية الرأي، ويجعلهم أعضاء في محاكم تفتيش عصرية ضد العلم والدين معا هذه المرة!

الفيلم مدته ساعة ونصف وهو رائع ومثير ويعرض الكثير من الحقائق المفزعة، ويطلق صرخة مدوية للشعب الأمريكي بأنهم إن لم يقفوا ضد هذا القمع المنتشر في الأوساط العلمية، فستفقد أمريكا أهم سمة ميزتها في القرنين الماضيين، وهي حرية الرأي والتعبير وحرية البحث العلمي.

- المقطع الأول من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع الثاني من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع الثالث من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع الرابع من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع الخامس من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع السادس من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع السابع من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع الثامن من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع التاسع من الفيلم الوثائقي Expelled
- المقطع العاشر من الفيلم الوثائقي Expelled

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع الأول

في هذا المقطع يلتقي بين ستاين مع عالم الأحياء التطوري ريتشارد سترنبرج، الذي طُرد من وظيفته كمحرر في مجلة تابعة لمتحف التاريخ الطبيعي، لمجرد سماحه بنشر مقال للدكتور ستيفن ماير، وهو واحد من قادة حركة التصميم الذكي.. في هذا المقال اقترح د. ستيفن ماير أن التصميم الذكي قد يكون أحد التفسيرات لكيفية ظهور الحياة.. وكان هذا كافيا لطرد ريتشارد ستتبرج من عمله!.. تماما كأننا في عصور محاكم التفتيش، حيث يعاقب الإنسان على أفكاره، بل إنه هنا يعاقب لمجرد سماحه بنشر أفكار غيره، التي قد لا يؤمن بها هو نفسه، لكنه ينشرها من باب حرية التعبير، أو عرض وجهات النظر المختلفة!

هذا هو رابط تحميل هذا المقطع:

http://www.mediafire.com/?bndik3qdpjaidtg

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=u6nGapQy1FE

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع الثاني

في هذا الجزء، نلتقي بالدكتورة كارولين كروكر أستاذة علم الخلية الحيوي في جامعة جورج ميسون، والتي تمت معاقبتها وفصلها من عملها، لمجرد أنها أشارت بطريقة عابرة إلى نظرية التصميم الذكي في صفها الدراسي!

ونلتقي كذلك بجراح الأعصاب مايكل إجنور، الذي أغلقت جامعة بايلور موقع البحث الخاص به على الشبكة المعلوماتية، وأجبرته أن يعيد مال المنحة البحثية، بمجرد أن اكتشفوا رابطا بين أبحاثه ونظرية التصميم الذكي

ونلتقي أيضا بالفلكي جيليرمو جونزاليس، الذي تعرض لحرب ضروس في جامعة أيوا الرسمية، بعد أن نشر كتابه الذي يناقش فيه فكرة أن الكون مصمّم بشكل ذكي.. وعلى الرغم من سجل بحثه الممتاز الذي قاد إلى اكتشاف عدّة كواكب، تم رفض طلبه حين تقدم لتثبيت منصبه، مما هدد مهنته بالخطر.

هذا هو رابط تحميل هذا المقطع:

http://www.mediafire.com/?xo8hpkfx7dohbwp

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=tp81NDoRS5U

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع الثالث

في هذا المقطع، نقابل المزيد من العلماء المؤيدين لنظرية التصميم الذكي، لنتعرف على وجهات نظرهم، وردودهم على اتهام الداروينيين لهم بأنهم من أنصار نظرية الخلق Creationism Theory.. لاحظوا أن نظرية الخلق هي نظرية يؤمن بها المسيحيون تبعا لما ورد في كتبهم المقدسة، لهذا فهي تؤمن بأن الإنسان خلق منذ عشرة آلاف سنة فقط، وأنه لم يتطور من أي مخلوق سابق، وأن الله خلق كل نوع من المخلوقات على حدة.. وهذا يعني أن نظرية الخلق لا تؤمن بنظرية داروين، وهذه هي نقطة اتفاقها مع نظرية التصميم الذكي.. لكن رغم هذا، يظل هناك فارق جوهري بين النظريتين، فنظرية التصميم الذكي لا تهتم بالبحث في كنه المصمم الذكي الذي خلق الحياة ولا متى خلقها، وتركز بدلا من هذا على دراسة الأنماط المعقدة في الطبيعية، التي لا يمكن تفسيرها بدون وجود مصمم ذكي قام بتخطيطها ودراستها أولا، وهو ما ينطبق على المخلوقات الحية بل وحتى الخلية المنفردة.

وممن نتقابل معهم في هذا المقطع:

١- بروس شابمان مدير معهد ديسكفري الذي يتبنى نظرية التصميم الذكي.

٢- الدكتور بول نيلسن أستاذ الفلسفة في جامعة بيولا.

٣- الدكتور وليام ألبرت ديمسكي، أستاذ الرياضيات والفلسفة بجامعة فورت وورث بتكساس.

٤- الدكتور ستيفن ماير، أستاذ تاريخ وفلسفة العلم.

٥- الدكتور جوناثان ويلز، أستاذ الأحياء الجزيئية والخلوية.

٦- الدكتور ديفيد برلنسكي، أستاذ الفلسفة والرياضايات والأحياء الجزيئية.

هذا هو رابط تحميل هذا المقطع:

http://www.mediafire.com/?u77io283o7uoxkg

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=T2-_vpM5p6U

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع الرابع

في هذا المقطع سنستمع إلى آراء المعسكر الآخر، حيث يقطن الداروينيون البارزون مثل ريتشارد دوكينز، الذي قاده إيمانه الأعمى بنظرية التطور إلى الإلحاد والدعوة إليه، واتهام من لا يتبعه في داروينيته وإلحاده بالجهل والغباء!

وهذا سيقودنا إلى سؤال هؤلاء الملحدين عن كيفية ظهور أول خلية حية إلى الوجود، حيث سنسمع نظريات مضحكة عن أشعة برق تضرب خليطا من المواد فتصنع منها الخلية الحية، وهي النظرية التي يزدريها العلم اليوم بعد ٥٠ عاما من ظهورها، ليتبنى نظريات أخرى بديلة لا تقل عنها إضحاكا، مثل نظرية العالم الداروينى البارز مايكل روز، التي يتخيل فيها أن المواد الأولية تجمعت على أسطح البلورات، مما حوّلها تدريجيا من تراكيب بسيطة إلى تراكيب معقدة!!

هنا سنشاهد مقطعا كارتونيا ساخرا طريفا، يرينا استحالة حدوث ما يتوهمه هؤلاء الناس، حيث يتم تمثيل الطبيعة بصالة قمار، والصدفة بمقامر، عليه أن يحصل على التوافق الصحيح في ٢٥٠ لعبة قمار متتالية!

ملحوظة:

حسب العلماء احتمال ظهور بروتين واحد بالصدفة على أنه ١ من كل (١٠ أس ٩٥٠) محاولة.. أما احتمال ظهور خلية حية واحدة بالصدفة،

فهو ١ من كل (١٠ أس ٤٠ ألف) محاولـــة!.. هـــذا مســـتحيل طبعـــا، وفرصة حدوثه هي صفر!

وهذا يحيلنا إلى نظرية فرانسيز كريك الفائز بجائزة نوبل، الذي اقتـــرح بـــأن الحياة "بذرت" على الأرض بواسطة مخلوقات فضائية!

هنا يتساءل المذيع في سخرية:

"ظننت بأنّنا كنّا نتكلّم عن العلم، وليس الخيال العلمي".

من ثَمّ نصل إلى نقطة الضعف القاتلة في نظرية داروين، وهي أن داروين نفسه لم يكن يعرف شيئا أصلا عن تركيب الخلية:

- فلم يكن المجهر الالكتروني قد اخترع بعد، وبالتالي لم يكـــن داروين يعرف شيئا عن العمليات المعقدة التي تحدث في الخليـــة، ولا أننـــا لـــو كبرناها لبدت لنا كمدينة عملاقة حافلة بتقنيات تفوق كل ما توصلت إليه علومنا حتى اليوم.
- ولم يكن مندل قد اكتشف قوانين الوراثة التي تنص على ثبوت الأنواع لا تطورها أو تغيرها!
- ولم يكن داروين يعرف شيئا عن تركيب نواة الخلية وآليات التكاثر التي تحدث فيها.
- ولم يكن واطسن وكريك قد اكتشفا الحمض النـــووي الـــوراثي DNA والمعلومات الهائلة المكتوبة عليه.. هل كان داروين يتخيـــل أن الخليـــة التي قطرها أصغر من نصف مم، تحتوي على نـــواة، بهـــا صـــبغيات (كروموزومات)، مكتوب عليها أكثر من ٣ مليار شفرة وراثية، ملفوفـــة في أزواج من أشرطة DNA، يصل طول الواحد منها إلى ٢ متر، وأننا لو فردنا أشرطة DNA الموجودة في جسم إنسان واحد وأوصلناها معا،

لكانت كافية للتوصيل بين الأرض والشمس أكثر من ألف مرة، ولو كتبنا المعلومات الموجودة عليها على شريط من الورق، لكان كافيا للتوصيل بين القطب الشمالي وخط الاستواء؟

- ولم نكن قد رسمنا خريطة الجينوم، وأدركنا كم الإبداع الهائل في تصميم الشفرة الوراثية، التي تحتوي على مكتبة كاملة فيها عشرة آلاف مجلد، تبني جسد المخلوق الحي ومخه، وتتحكم في كل صغيرة وكبيرة من العمليات الحيوية المعقدة التي تحدث في كل أجهزته، وتحرك غرائزه وتحدد علاقته بالبيئة والمخلوقات الأخرى، مما يجعل هذه الشفرة الوراثية أبدع وأعقد نظام تشغيل Operating System مكتوب على ظهر الأرض، يتفوق على كل أنظمة التشغيل والبرمجيات التي كتبها المبرمجون حتى اليوم، وهو ما يؤكد أن من المستحيل أن تكون الصدفة أو التغييرات العشوائية التدريجية قد كتبت كل هذه المجلدات والبرمجيات بأي شكل من الأشكال، ولو في تريليون عام!

كل هذه أمور لو علمها داروين في عصره لما جرؤ على التفوه بحرف واحد عن نظرية التطور أصلا!

ويلخص لنا الفيلم كل هذا بأن الخلية إذا كانت في نظر داروين مجرد سيارة بويك من الخمسينيات، فإن الخلية اليوم في نظرنا أشبه بمجرة كاملة.. وإذا كانت في نظره مجرد بيت من الطين، فالخلية بالنسبة لنا اليوم هي كوكب زحل!

باختصار: الخلية هي عالم كامل لم يكن يدري عنه داروين شيئا.. أو على حد وصف عالم الأحياء الجزيئية دوج آكس: الخلية هي مصنع كامل دقيق الحجم يستخدم الأوامر الرقمية لبناء مكوناته!

هذا هو رابط هذا المقطع:

http://www.mediafire.com/?zr5tz19e4gw5m2z

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=oVt-EgrsO8c

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع الخامس

في هذا المقطع، سنعبر إلى داخل الخلية في رحلة رائعة، لنرى كم الإبهار والإعجاز في تركيبها، والعمليات المعقدة التي تقوم بها.. وسنتعرض لسؤال في غاية الأهمية: إذا كانت الخلية مبرمجة من خلال المعلومات الوراثية، فما هو مصدر هذه المعلومات؟.. نحن هنا لا نتكلم عن مجرد مواد كيميائية تتحد وتنحل لتكوّن بنية مادية، بل نتكلم بالأساس عن معلومات تكوّن شفرة وراثية مكتوبة على شريط في صورة تتابع أحادي البعد، يتم ترجمتها لاستخدام الأحماض الأمينية في بناء البروتينات، التي تبني مجسمات حية ثلاثية الأبعاد!.. فهل يمكن أن تكتب الصدفة كل هذه المعلومات؟.. وإذا افترضنا فرضا جدلا أن الصدفة كتبت هذه المعلومات بالترتيب الصحيح (وهو مستحيل بحسابات الاحتمالات التي بيناها سابقا) فكيف أنشأت الصدفة في الخلية الآليات التي تترجم هذه المعلومات لتستخدمها في رص الأحماض الأمينية معا بالترتيب الصحيح، ومن ثم تبني البروتينات وتستخدمها؟.. حقا: يا محاسن الصدف!!

إذن فنحن هنا نتكلم عن استحالات بعضها فوق بعض: استحالة كتابة المعلومات الصحيحة بالصدفة، واستحالة وجود آلية لفك شفرة هذه المعلومات بالصدفة، واستحالة وجود خط إنتاج لتحويل هذه المعلومات المترجمة إلى بروتينات بالصدفة!

في الحقيقة، كل ما نعرفه عن الخلية يؤكد الغائية وليس الصدفة.. وهذا يتكرر مع كل ما نعرفه في علم الأحياء.. فنحن دائما نتعامل مع علاقات متبادلة

ومتراكبة، وليست أمورا بسيطة فردية يمكن تأويلها بالصدفة.. على سبيل المثال لا الحصر:

- توجد الأسنان بالفم لطحن الطعام، واللعاب لتذويبه، قبل بلعه إلى المعدة لتقوم عصاراتها المختلفة بهضمه.. هذا تصميم وُضِع بناء على معرفة مسبقة بأنواع الطعام التي يتعامل معها المخلوق، ومن ثم تم تخطيط مراحل متتابعة لهضمه والاستفادة منه.. السؤال هو: أين هي الحفرية التي وجدنا فيها الأسنان في الركبة بدلا من تجويف الفم؟.. المفروض تبعا للصدف العشوائية المدعاة أن يكون هذا احتمالا واردا، ولا بد أن يكون قد حدث ضمن تريليونات تريليونات .... تريليونات المحاولات الخاطئة والعبثية في مسيرة التطور المزعوم، ونظرا لعدم ملاءمة هذا التطور العشوائي لحياة الكائن، فقد عجز عن الحياة بأسنان على ركبته (لأنه لا يستطيع طحن الطعام بها)، وبالتالي مات جوعا.. فأين هي إذن الحفرية التي تؤكد هذا الافتراض؟.. أين حفرية الكائن الفاشل الذي ظهرت أسنانه في كفه؟.. وأين حفرية الكائن الفاشل الذي ظهرت أسنانه في صدره؟.. وأين حفرية الكائن الفاشل الذي ظهرت أسنانه في عموده الفقري؟... إلخ.
- توجد العيون في الرءوس.. هذا يجعلها أعلى نقطة في الكائن لتمنحه مدى إبصار أوسع، وتتسق مع اتجاه سيره (تخيل مخلوقا عيناه في مؤخرته!)، كما يجعلها في حماية الجمجمة من أخطار الاصطدام، مع وجود الجفون والرموش لمزيد من الحماية.. واضح أن هناك من صمم العين لوظيفة معينة، ووضع آليات لحمايتها.. هذا المصمم كان يعرف مسبقا أنها ستستغل خاصية فيزيائية اسمها الضوء، لهذا صمم لها عدسة وشبكية حساسة تحوّل الضوء إلى إشارات كهربية، وعصبا بصريا لنقل

هذه الكهرباء إلى المخ، ومركز إبصار في المخ لترجمة هذه الكهرباء إلى صور، ووعيا لفهم وتحليل هذه الصور والتفاعل مع ما تحمله من معلومات.. هذا تصميم هندسي واضح يستخدم أدق مبادئ علم النظم Systems والتحكم Control، ولا علاقة له بأي صدفة أو عشوائية.

- وجود ذكر وأنثى في الكائنات ثنائية الجنس، ينفي نفيا قاطعا أي احتمال للصدفة، فهناك فروق كبيرة بين الجنسين، تجعل كل جنس متوافقا مع وظيفته، مع وجود أعضاء تناسلية وآلية لتقسيم DNA في الخلايا الجنسية إلى نصفين، ليكتمل المحتوى الوراثي باتحاد نصف مورثات الذكر مع نصف مورثات الأنثى في عملية التزاوج، وهي عملية مبهرة، تحتوي على آلية لتنويع خصائص الأبناء عبر التناسل.. ومن أجل ضمان حدوث هذه العملية وعدم فناء النوع، تم تسخير كل أنظمة الجسم من أجلها، فهناك فرمونات مهيجة تستقبلها الأنف، وهناك غناء غزلي تستقبله الأذن، وهناك جمال مبهر تراه العين، وهناك رقصات تزاوج يؤديها الجسد، وكل هذا يثير مراكز العاطفة والشهوة في المخ، ويؤثر في ضربات القلب وإفراز الهرمونات وعمل الأعضاء التناسلية.. وبعد كل هذا، نجد الأنثى مهيأة بوجود الرحم بكل تقنياته لحمل الرضيع وولادته، وبالغدد اللبنية لإرضاعه، وبغريزة الأمومة لحمايته!

كل هذا يجعلنا نقف أمام سؤال بديهي للغاية: هل يمكن أن ينشأ القفل والمفتاح المناسب له بالصدفة؟.. كيف علمت الصدفة ما يناسب الذكر في الأنثى، وما يناسب الأنثى في الذكر، وما يناسب الأبناء في كليهما؟.. ومن الذي سطر في المحتوى الوراثي الوسائل التي تجذب كل جنس إلى الآخر، والآليات التي يستخدمها كل جنس لإغراء الجنس الآخر؟.. هل يبدو كل هذا لعاقل وليد الصدفة؟.. ما هو احتمال نشوء ذكر بالصدفة؟..

وما هو احتمال نشوء أنثى بالصدفة؟.. وما هو احتمال أن ينشآ معا في نفس المكان والزمان بالصدفة؟.. وما هو احتمال أن يكون أحدهما عقيما؟.. وما هو احتمال ألا ينجذب أحدهما للآخر فلا يتزاوجا؟.. وما هو احتمال ألا يعرفا كيف يرعيان المولود؟.. من علم العصفور نسج العش وتبطينه بريشه لحماية صغاره؟.. وكيف بالله عليكم ظهر الذكر والأنثى في الأسماك والحشرات والزواحف والطيور والثدييات؟.. وإذا كانت الأنواع تتطور إلى أنواع أخرى كما يدعي الداروينيون، فكيف تطور ذكر وأنثى من كل نوع في نفس الوقت معا؟.. كلها أسئلة تكشف زيف هذه الادعاءات، واستحالة حدوثها على أرض الواقع، وتجعلنا نقف في خشوع أمام القسم الإلهي في سورة الليل: **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى {١} وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى {٢} وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى {٣} إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى {٤})**

الخلاصة: نظرية داروين تتكلم عن تريليونات الصدف المتراكبة التي لا يمكن بأي عقل وعلم ومنطق قبولها، لأننا ببساطة ووضوح نتكلم عن نظم مصممة بعناية، كل جزء فيها يستغل الظواهر المحيطة والقوانين الفيزيائية لأداء وظائف محددة سلفا، مبرمجة على الشفرة الوراثية، التي تعتبر أبدع نظام تشغيل على ظهر الأرض بكل المقاييس!

ثم: أليست مفارقة مثيرة للسخرية، أن يتم تسميته **علم** الأحياء، وهو كله يتكلم عن سلاسل لا تنتهي من المصادفات؟.. إن العلم يبنى على القوانين، والقوانين عكس المصادفات.. فكيف تحولت الصدفة إلى قانون فقط في علم الأحياء الداروينى على عكس كل العلوم الأخرى المعروفة، لتظل الصدفة كما يدعون تعمل بكفاءة وبلا كلل ولا ملل عبر ملايين السنين لخلق وإبداع حوالي ٩ مليون نوع من المخلوقات؟.. وإذا كانت الصدفة هي التفسير العلمي، فما جدوى العلم

أصلا؟.. أليست النتيجة الحتمية التي يقودنا إليها هذا الافتراض، هي أن نـــريح أنفسنا ونترك الصدفة تفعل كل شيء بدلا منا، مطمئنين أن الحياة تسير بالصدفة نحو الأعقد والأفضل والأكمل؟.. فلماذا نرهق أنفسنا إذن؟

***

وسنعرف في هذا المقطع أيضا، كيف أن عضو الكونجرس مارك سودر كشف حملة موجهة قادها أفراد من هيئة المتاحف العلمية والمركز الـــوطني للتعلـــيم العلمي لتحطيم مصداقية دكتور سترنبيرج (الذي عرفنا من قبل أنه طُـــرد مـــن وظيفته كمحرر في مجلة تابعة لمتحف التاريخ الطبيعي، لمجرد سماحه بنشـــر مقال للدكتور ستيفن ماير عن التصميم الذكي)

وسنستمع لرأى الصحفي لاري ويثام عن تصرفات مماثلة رآها أثناء ٢٥ ســـنة من متابعته لجدل التطور.

وعلى الجانب الآخر، سنقابل يوجيني سكوت من المركز الوطني لتعليم العلوم، التي تناضل لتظل نظرية داروين تدرس منفردة في المدارس دون السماح بأي رأي معارض (تبدو هذه أحادية رأي وقهرا علميا متعصبا.. أليس كذلك؟)، وهو ما يؤكد أن هناك لوبي ضخما في الأوساط العلمية، يعمل علـــى حمايـــة هـــذه النظرية المتهالكة، وهم في الغالب ملحدون، كما يؤكد ريتشارد دوكينز، الـــذي يعترف أن إيمانه بنظرية داروين هو الذي قاده مباشرة إلى الإلحـــاد، وأنـــه ــ على عكس الكثيرين من أقرانه ــ أكثر صراحة ووضوحا في الاعتراف بهذا، وهو ما يؤكد أن نظرية التطور هي الكتاب المقدس للإلحاد، ويبرر التعصـــب الوثني الأعمى من هؤلاء القوم لها، فالإلحاد صناعة مربحة تدر المليارات، من الحروب والسرقة والنهب والمخدرات والخمور والمتاجرة بالنساء في الدعايـــة والدعارة، إلى آخر ما يستغل فيه الأبالسة البشر الخـــارجين عـــن كـــل القـــيم الأخلاقية والروحية التي تحض عليها الأديان.

هذا هو رابط هذا المقطع:

http://www.mediafire.com/?hm56lsj95ujh9ja

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=EJI9h7auK38

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع السادس

هذا الجزء يركز على دور الإعلام في التعتيم على نظرية التصـــميم الـــذكي، فالمراسلون الصحفيون يرفضون حتى أن يذكروا التعريف الصحيح للتصـــميم الذكي، وبدلا من هذا يقدمون صيغا نمطية عنه، دون ذكـــر أي تفاصـــيل، وإذا قرر مراسل أن يقدم نظرة أكثر توازنا إلى التصميم الذكي، تتم ممارسة ضغوط هائلة عليه لكي لا يقف ضدّ التطوريين.. ومن أمثلة هذا المؤلفـــة والصـــحفية باميلا وينيك، التي رفضت التحيّز إلى أي جانب في مقالة كتبتها عن التصـــميم الذكي، فصارت فريسة للداروينيين، وأخذت رسائل الكراهية تصل إلى الصحيفة التي تعمل فيها.

ولكن ماذا إذا فشلت المؤسسات التعليمية والإعلامية في حصار نظرية التصميم الذكي بما يكفي؟

في هذه الحالة لا بد من اللجوء إلى محـــاكم التفتـــيش الأمريكيـــة، لإثبـــات أن التصميم الذكي هو مجرد معتقد ديني خاص، وليس نظرية علمية.

ويوضح لنا الدّكتور مرسيج جرتيك، عالم الوراثة السكانية الذي يمثّل بولندا في البرلمان الأوربي، أن مثل هذه المحاكمات لا توجد في بولندا، مما يجعل بولندا أكثر حرية أكاديميا من الولايات المتّحدة.

ويؤكد لنا إدوارد مورو أن الصراع الدائر حول مبادئ التطور صـــار حربـــا دينية، ولم يعد حقا متعلقا بالبحث العلمي، حيث انتقل كبار المؤيدين للتطور من الدفاع عن الداروينية إلى مهاجمة الأديان.

لكن هل العلم والدين حقا في حالة حرب كما يصور لنا دوكينز وأتباعه؟

هذا هو ما يحاول الفيلم الإجابة عنه في باقي هذا المقطع، حيث يوضح لنا المحاورون أن الصراع بين الداروينية والتصميم الذكي في جوهره، يميل إلى الفلسفة أكثر من العلم، لأن كلتا النظريتين تفسر نفس الأدلة المادية بتفسيرين متضادين، يؤدي كل منهما إلى استنتاجات دينية وفلسفية وأيدلوجية أكبر.. لهذا لا يمكن وصف الداروينية بأنها تفسير علمي بينما يوصف التصميم الذكي بأنه تفسير غير علمي.. فكلتاهما في النهاية مجرد استنتاجات نابعة من فهم أصحابهما للحياة والهدف الذي يريدون الوصول إليه من وراء هذه الاستنتاجات والتفسيرات.

وإن كنت أرد على هذا بأن نظرية التصميم الذكي أكثر اتساقا مع قوانين العلم خاصة الرياضيات والفيزياء والبرمجة، وهذا هو السبب في أن كثيرا من مؤيديها هم من علماء الرياضيات.. فالمشكلة أن علماء الأحياء أعطوا لأنفسهم الحق في تجاوز صلاحياتهم، وإطلاق استنتاجات خارج نطاق تخصصهم.. فتفسير نشوء النظم المعقدة بالصدفة أو بوجود مصمم هو أمر يدخل في صميم عمل علماء الرياضيات والإحصاء ومحللي النظم والأنماط، والحكم على مصدر المحتوى المعلوماتي الموجود على شريط DNA هو أمر يخص المبرمجين.. وبالمناسبة: أنا لا أستبعد أن يتضمن هذا المحتوى الوراثي خوارزميات ضغط وتشفير كأي كود برمجي نعرفه لأني أرى أن ثلاثة مليارات شفرة هو عدد صغير جدا مقارنة بكل الوظائف المعقدة التي تتحكم فيها في الجسد البشري، لهذا أتوقع أن هذه الشفرات ليست خطية، بل توجد بينها علاقات أعقد، وقد تكون مضغوطة بخوارزميات نجهلها، وربما يفسر هذا سبب وجود بعض المناطق على الشريط الوراثي التي لا يعرف العلماء لها وظيفة.. على كل حال هذا أمر يبت فيه محللو الشفرات وخوارزميات الضغط، لو توفرت لهم الفرصة لتحليل الشريط الوراثي وخريطة الجينوم.

باختصار: المسألة لم تعد تتعلق بدراسة تركيب الخلية فحسب، فإطلاق الاستنتاجات عن أكثر النظم إبداعا وتعقيدا على ظهر الأرض، هو أمر لا يتعلق بعلماء الأحياء والجيولوجيا وحدهم، بل يتضمن أيضا علماء الكيمياء والفيزياء والرياضيات والبرمجيات ومحللي النظم.

وأرجو ألا يقول قائل منهم: "ليس من حق كل هؤلاء التدخل في عملنا، فلقد طورنا علم الأحياء بأنفسنا دون مساعدة من أحد، ولا نريد الآن تطفلا من أحد". فهذا الكلام ينكر أن كل المكتشفات الحديثة في علم الأحياء تدين بالفضل للتطور التقني الذي أنتجه علماء الفيزياء والكيمياء والمهندسون، كالمجهر الالكتروني وأجهزة التحليل الحديثة، بل والأشعة السينية التي استخدمها واطسون وكريك لاكتشاف الحمض النووي الوراثي، وأجهزة الحاسب الحديثة التي تستخدم في دراسة خريطة الجينوم... إلخ.

باختصار: علماء الأحياء غير مهيئين علميا وفلسفيا لإطلاق استنتاجات ضخمة من قبيل: كل هذا حدث بالصدفة ولا يوجد إله.. ونحن نقول لهم: لم يطلب أحد منكم أي رأي.. ركزوا رجاء في دراسة الخلايا الحية وأعطونا علما بدلا من آرائكم الخاصة، ولا تتبرعوا باستنتاجات مضحكة لا نريدها منكم!

هذا هو رابط هذا المقطع:

http://www.mediafire.com/?k0jv8hsmaa6sx6b

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=k8GUBmwIfII

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع السابع

في هذا المقطع نلتقي بالدكتور ويل بروفاين أستاذ تاريخ علم الأحياء في جامعة كورنيل، وهو أحد أنصار نظرية داروين، حيث يعترف لنا بأن هذه النظرية هي ما دفعه إلى الإلحاد، فصارت الحياة بالنسبة له بلا معنى، ولم تعد هناك أي قيمة أخلاقية، ولم يعد يشعر بأنه إنسان حر لديه إرادة مستقلة، فهو مجرد كائن أنتجته سلسلة من الصدف العبثية، وهكذا يخبرنا ببساطة مخيفة، أن سرطان المخ لو عاد للظهور لديه، فسيطلق النار على رأسه بلا تردد ليتخلص من معاناته التي لا معنى لها!!

بالمثل، يقول عالم الأحياء ب. ز. مايرز، إن نظرية التطور جعلت إيمانه يتآكل، حتى صار ملحدا، وهو يرى أن العلم في النهاية سيزيح الدين إلى ركن هامشي قصيّ، لنعيش في عالم يحكمه العلم لا الدين، وهذا في نظره هو العالم المثالي.. لكن التاريخ يخبرنا بنتائج مناقضة لهذا تماما، فالبلاد التي تراجع فيها الدين وساد الإلحاد الداروينى، شهدت أشنع الجرائم والمجازر الوحشية إضافة إلى الانتحار (كما أوضح لنا د. برفاين!).

هنا يأخذنا بين ستاين إلى ألمانيا، ليرينا كيف قادت الداروينية الفكر النازي إلى قتل المعاقين والمرضى للتخلص من عبئهم ولتحسين نسل الجنس البشري!

هنا يجب أن نتوقف لحظة، ونتساءل: لماذا لم يتطرق الفيلم من أي وجه إلى الشيوعية، رغم أن جرائمها في حق البشرية أكثر جسامة، وعلاقتها بالداروينية أكثر وضوحا وثبوتا؟

أظن الإجابة واضحة، فنحن نعرف أن كارل ماركس مؤسس الشيوعية كان يهوديا، وأن لليهود دورا بارزا في تحريك الأحداث في روسيا لإشعال الثورة الشيوعية فيها، وكيف كانوا مقربين من رءوس الحكم، وأن الاتحاد السوفيتي (روسيا حاليا) كان من أوائل من اعترف بإسرائيل بعد قيامها بدقائق، ناهيكم عن مئات الآلاف من المهاجرين اليهود الذين تدفقوا من روسيا إلى إسرائيل.. كل هذا جعل اليهودي بين ستاين يحجم عن ذكر جرائم الشيوعية، إن لم يكن لمحاباته لماركس، فعلى الأقل خوفا من رد فعل اللوبي اليهودي الأمريكي ضده! على كل حال، لن نفوت هنا هذه البقعة السوداء في تاريخ الداروينية، والجرائم الوحشية التي ارتكبتها باسمها الشيوعية، والتي بجوارها تبدو الضواري والحيوانات المفترسة مجرد فراشات رقيقة!.. لدينا هنا فيلم وثائقي رائع يوثق كل هذا، وهو بعنوان: التاريخ الدموي للشيوعية.. يمكنكم مشاهدته أو تحميله من هنا:

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

ملاحظة:

كل رابط يقود إلى صفحة خاصة بأحد الأجزاء، حيث يمكنكم اختيار الكفاءة والصيغة التي تريدون تحميل الفيلم بها، مع ملاحظة وجود نسخة عربية وأخرى أجنبية.. لهذا يرجى اختيار رابط واحد فقط من كل صفحة.. وأرشح لكم نسخة wmv ورابطها موجود في آخر الجدول، لأنها أقل حجما وكفاءتها جيدة.. كما يمكن مشاهدة الفيلم مباشرة بضغط الأيقونة المجاورة لرابط التحميل.

لكن النازية والشيوعية ليستا كل تجليات هذه النظرية المريضة.. فالعنصرية الأوروبية والحملات الاستعمارية كانت تتخذ من الداروينية مبررا أخلاقيا لاستعباد باقي الشعوب، فباقي الأجناس في نظرهم أقل رقيا على سلم التطور من الجنس الأبيض، خاصة الزنوج الذين اعتبروهم أقرب ما يكون إلى القرود والأدنى في سلم التطور.. وهذا يوضح كيف كانوا يرتكبون مجازرهم في أفريقيا وآسيا بدم بارد، وكيف شحنوا الزنوج كالبهائم في السفن وباعوهم في الأمريكتين، واستعبدوهم وأذاقوهم من كل صنوف الذل والقهر!

لمزيد من التفاصيل عن سيطرة هذه النظرة العنصرية على علم الأحياء الداروينى، يمكنكم مشاهدة الفيلم الوثائقي "العرق السبّاق" وهو من أفلام الجزيرة الوثائقية المدبلجة بالعربية، وصدر في ثلاثة أجزاء.. هذا رابط المقطع الأول على يوتيوب، ويمكنكم تتبع باقي المقاطع من هناك:

http://www.youtube.com/watch?v=bXvJUKSzZqg

أخيرا: هذا هو رابط المقطع السابع من فيلم Expelled:

http://www.mediafire.com/?b8cbvyb0ggabhhr

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=5qT86GDBJRE

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع الثامن

في هذا المقطع، نقابل الدّكتور ريتشارد ويكارت مؤلف كتاب "من داروين إلى هتلر"، الذي يؤكد لنا أن هتلر والكثير من الأطباء الذين نفّذوا برنامج إبادة المرضى والمعاقين، كانوا من الداروينيين شديدي التعصب، وهم نتاج الفكر العنصري الذي ساد أوروبا وأمريكا في عشريات وعشرينات القرن العشرين، والذي كان من طرحوه يعدون من العلماء البارزين، لاستنادهم على أفكار داروين والصراع من أجل البقاء وسباق الأجناس إلى آخر هذه الخزعبلات التي نفاها العلم الحديث، فتحليل DNA يثبت أن الفروق بين أي فردين في الشفرة الوراثية لا تتجاوز ١٥%، سواء كانوا من نفس العرق أو اللون أو البلد أو لم تكن تربط بينهم أي صلة نسب أو مواطنة جغرافية!

ورغم أن الإعلام اليوم يركز هجومه على العنصرية النازية، إلا أن الولايات المتحدة نفسها شهدت في القرنين الماضيين أسوأ مظاهر العنصرية والتمييز ضد الزنوج والآسيويين وبقايا الهنود الحمر، بل وصل الأمر إلى أبعد من هذا، فقد تورط الطب الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين في أسوأ وصمة في تاريخه، تحت ذريعة ما أسموه باليوجينيا، أو علم تحسين النسل، فتم تعقيم أكثر من ٥٠ ألف إنسان في أمريكا إجباريا لمنعهم من التناسل، بحجة أنهم مرضى أو ضعفاء أو من أجناس منحطة.

ويدق الفيلم ناقوس الخطر، ليحذرنا من أن منبع هذه الأفكار القاتلة والمريضة ما زال موجودا إلى اليوم (وهو الداروينية)، وأن مثل هذه الممارسات غير

الآدمية ما زالت تحدث إلى اليوم، وأكبر دليل على هذا، الجدل الدائر في الولايات الأمريكية حول إباحة الإجهاض والقتل الرحيم (أي قتل المريض الميئوس من شفائه بحجة إراحته من عنائه، وفي الحقيقة هو لتوفير تكاليف العلاج!!)، وكلاهما في النهاية أمران نابعان من النظرة الداروينية الدونية للإنسان، التي تعتبره مجرد نتاج صدفة ولا تختلف حياته عن موته في شيء، وأنه إذا صار عبئا اقتصاديا فيجب التخلص منه فورا!

لعل هذا يستدعي إلى أذهاننا كيف يشيطن الأمريكان أعداءهم، ويجعلونهم أدنى من البشر وأقرب إلى الوحوش، ويصورونهم كأعداء للبشرية والإنسانية، حتى يسهل عليهم إبادتهم بضمير مستريح!!.. لقد فعلوا هذا عندما أبادوا الهنود الحمر الذين ينعتونهم إلى اليوم في كتبهم التاريخية بالهمج المتوحشين الوثنيين، وفعلوه عندما استعبدوا الزنوج الذين اعتبروهم أدنى في سلم التطور وأقرب إلى القرود، ويفعلونه الآن مع المسلمين الذين يصورونهم كإرهابيين مجرمين بلا رحمة ولا إنسانية!.. إنه فكر استئصالي عنصري مريض، جذوره قديمة، وقد أذكته نظرية داروين، وما زال حيا ومضطرما وفعالا إلى اليوم!

ثم يأخذنا بين ستاين إلى نصب تذكاري ليذكرنا بمجازر هتلر ضد اليهود.. بالطبع لا يستطيع بين ستاين أن يكون يهوديا دون ذكر الهولوكوست!

على كل حال، شكرا له، فقد لفت انتباهنا إلى ثلاث مفارقات في غاية السخرية:

الأولى: أن اليهود لا يقلون عنصرية عن النازيين، فهم ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم شعب الله المختار، وباقي الأجناس أدنى منهم ويحق لهم استعبادهم وسرقتهم وقتلهم.. هذا رغم أنهم جماعة دينية مختلطة الأجناس وليسوا جنسا صافيا!.. فلِمَ يلوم بين ستاين النازيين والداروينيين؟

الثانية: أن مجازر اليهود ضد الفلسطينيين وتهجيرهم من بلادهم وسجنهم وتعذيبهم وهدم منازلهم طوال العقود الستة الماضية، يفوق بمراحل ما زعموا أن هتلر فعله بهم!

الثالثة: أن هناك قوانين في كل دولة أوروبية وفي أمريكا تجرم من يشكك في حقيقة الأرقام التي ادعاها اليهود عمن أبيدوا منهم في الهولوكوست، والتي كان هدفها الأساسي إرعاب يهود أوروبا وحثهم على الهجرة إلى فلسطين، فالحقيقة أن اليهود كانوا مجرد جزء ممن عذبهم هتلر في معتقلاته العنصرية من مختلف الأجناس، ورغم أن هذا لا يقلل من بشاعة ما حدث، إلا أنه لا يبرر التهويل اليهودي في الأمر، واستمرارهم في ابتزاز ألمانيا بالتعويضات المالية والعسكرية إلى اليوم، دونا عن باقي الشعوب والأجناس التي أجرم في حقها النازيون.

ما يعنينا هنا هو التركيز على وجه الشبه بين قمع أنصار نظرية التصميم الذكي في الأوساط العلمية والإعلامية، وقمع كل من يجرؤ على التشكيك في الهولوكوست، مما يعطينا فكرة واضحة للغاية عن مدى حرية الرأي التي يتمتع بها الغرب فعلا!!!

وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- في عام ١٩٧٩م اتهمت الجمعيات اليهودية في فرنسا الفرنسي (روبير فوريسون) بتهمة تزوير التاريخ وإثارة الحقد العنصري من خلال كتابه "الأكذوبة التاريخية" وقد صدر حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر والغرامة بمبلغ ٥٠٠٠ فرنك ودفع تعويضات قدرها ١٠٠٠٠ فرنك مع إجباره على نشر الحكم على نفقته في الصحف الفرنسية.
- وفي عام ١٩٨٦ تحرك اللوبي الصهيوني في فرنسا لإلغاء رسالة الدكتوراه التي حصل عليها الفرنسي (هنري روك) من جامعة "نانت" الفرنسية، والتي

انتقد فيها مصادر الهولوكوست ، وأكد أن غرف الغاز والمحـــارق النازيـــة لاوجود لها؛ لذلك ألغيت الرسالة وطرد من الجامعة ، وتم إيقـــاف الأســـتاذ المشرف على الرسالة عن عمله.

- وفي عام ١٩٨٨ في كندا حوكم الناشر الكندي (ارنست زندول) بتهمة نشـــر مواد غير حقيقية في كتيّب فنّد فيه مزاعم اليهود في قضـــية الهولوكوســـت، وأكد أنها " وسيلة لابتزاز الشعب الألماني ". وقد تمت تبرئته من هذه التهمة دعماً لحرية الرأي في كندا.
- وفي عام ١٩٩٠ نجح اليهود في فرنسا باستصدار قانون "غايسو" الذي يعاقب كل من ينكر تعرض اليهود للمحارق النازية . وبموجب هذا القانون حـــوكم المفكر الفرنسي (روجيه جارودي) بسبب كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " والذي فضح فيه أكاذيب اليهود الدينية والتاريخية والسياســـية ، ووضح العلاقة بين أكذوبة الهولوكوست وقيام دولة إسرائيل ، وقد حُكم على جارودي بالسجن لمدة سنة مع وقف التنفيذ نظراً لكبر سنه.

أخيرا: هذا هو رابط المقطع الثامن من فيلم Expelled:

http://www.mediafire.com/?442mp45vqb51a17

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=B5fd-cRvErk

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع التاسع

في هذا المقطع، سنسمع وجهة نظر من قاموا بطرد مؤيدي التصميم الذكي من وظائفهم.. بعضهم أنكر أي علاقة للتصميم الذكي بما حدث، وبعضهم اعتــرف بذلك صراحة.

ما يهمني أن أعلق عليه في هذا المقطع، هو سخرية د. جون هوبتمان من فكرة وضع كل الحيوانات على سفينة نوح لحمايتها من الطوفان.. فمن وجهة نظره، أن من الغباء أن نصدق أن كل الحيوانات الموجودة على الأرض اليوم، جاءت من الأسلاف التي كانت على تلك السفينة، وبالتالي فنظرية داروين أكثر عقلانية من مثل هذا الكلام الخرافي!.. وعلى حد قوله:

- يجب ألا تهين حتى الأطفال بمثل هذا النوع من الأفكار.

وقد رأيت في أعمال درامية أمريكية أخرى نفس تلك السخرية من قصة سفينة نوح عليه السلام، فهم مثلا يقولون: لكي تضع زوجا من كل حيوانــات العــالم على سفينة، فلا بد أن يكون حجمها هائلا للغايــة، أضــعاف أضــعاف حجــم حاملات الطائرات الحديثة التي نمتلكها اليوم!

حسنا.. من وجهة نظري أن هذا الكلام لا يقوله إلا شــخص يتعمــد التضــليل والتشويه، أو شخص ضحل المعرفة محدود الخيال ضــعيف الــذكاء بشــكل مضحك!

فهذا الكلام مبني على تصور خاطئ بأن طوفان نوح عليه السلام قد غمر الكرة الأرضية كلها، مما يعني أنه أفنى كل أشكال الحياة على الأرض، ما عدا تلك التي حملها سيدنا نوح معه في السفينة.

طبعا هذا تصور فنتازي للغاية، لأن إهلاك بضع مئات أو آلاف من الكفار حيث عاش سيدنا نوح، لا يحتاج إلى إغراق الكرة الأرضية كلها.. لهذا لا يجب أن تذهب خيالاتنا أبعد من اللازم.. فأي فيضان ضخم أو تسونامي بحري مصحوب بأمطار غزيرة كفيل بتحقيق هذا الغرض.. ولعلنا رأينا مؤخرا كيف شرد طوفان باكستان ملايين البشر بمنتهى البساطة، دون إغراق العالم كله، وهو نفس ما فعله تسونامي إندونيسيا منذ عدة سنوات!

إذا اتفقنا على هذه الحقيقة، فيسكون من المنطقي أن نفهم أن سيدنا نوح أخذ معه على السفينة أزواجا من الحيوانات الأليفة التي يحتاجها البشر في تلك المنطقة، كالحمير والخيول والجمال والأبقار والخراف والقطط والكلاب والطيور الداجنة وما إلى ذلك.. ولا حاجة لسيدنا نوح أن يشحن على سفينته الأفيال وحيوانات الكانجارو والتماسيح والنمور والأسود.... إلخ.. لسببين رئيسيين:

١- أن هذه الحيوانات كانت محمية في غاباتها في أعالي أفريقيا ووسط آسيا والقارات الأخرى.. تذكروا أن أفريقيا تنحدر من وسطها بصورة منتظمة باتجاه البحر المتوسط، وأن منطقة الشام تنحدر غربا باتجاه البحر المتوسط، وهذا ما يجعل أي سيل أو فيضان في شمال أفريقيا أو غرب آسيا يتجه عموما إلى البحر المتوسط.. هل تعلمون مثلا أن بحيرة السد العالي في جنوب مصر تقع على ارتفاع ٢٠٠ متر فوق سطح البحر.. إذن فطوفان هائل ارتفاعه ٢٠٠ متر يكفي لإغراق مصر كلها، دون أن يؤثر في أي شيء على السودان وما فوقها!

٢- أن جمع زوج من كل حيوانات العالم هو أمر مستحيل على سيدنا نوح والنفر القليل الذي آمن معه.. هل كانوا سيخرجون في رحلات سافاري تستغرق عدة قرون في غابات أفريقيا وآسيا لجمع الحيوانات البرية والمتوحشة بما في ذلك من أخطار، ويتركون دعوة قومهم إلى عبادة الله؟.. بالطبع هذا أمر لا يتصوره عقل، لهذا من المنطقي جدا أن نفهم أن سيدنا نوح حمل على سفينته فقط، أزواجا من حيوانات المنطقة التي عاش فيها، ليستطيع هو ومن معه تربيتها وإكثارها بعد استقرارهم، ليتمكنوا من مواصلة الحياة الطبيعية هم ونسلهم.

طبعا نحن لا نعرف يقينا متى كان طوفان نوح.. لكن البعض يرجح أن هناك طوفانا ضخما حدث منذ آلاف السنين.. ومع عدم تأكيدي على أنه طوفان نوح عليه السلام، إلا أنه كاف ليجعلنا نتخيل الصورة بشكل أفضل.

في تلك الحقبة كان السودان بحيرة ضخمة تتجمع فيها مياه هضبة الحبشة، ويحجزها عن مصر حائط من الصخور البازلتية.. ويرجح العلماء أن البحر المتوسط كان جافا في تلك الحقبة بسبب انغلاق مضيق جبل طارق وتبخر كل مياهه.. ثم حدث زلزال عظيم، حرك الطبقات الأرضية فانفتح مضيق جبل طارق ليغمر منخفض البحر الأبيض المتوسط بالمياه، وفي نفس الوقت أدى الزلزال إلى تشقق الحائط البازلتي فانهمرت مياه بحيرة السودان على مصر لتحفر وادي النيل وتشكل مجراه، وتصب في النهاية في البحر المتوسط مشكلة دلتا مصر.. هذا تصور مثالي لكيفية حدوث طوفان عظيم يهلك كل من كانوا حول حوض البحر المتوسط الجاف في تلك الحقبة، وربما كان بعضهم يعيش فعليا في ذلك الحوض الجاف دون أن يعلم أنه بحر يمكن امتلائه بالمياه في أي لحظة!

(هناك تصور مماثل عن ارتفاع منسوب المياه في البحار والمحيطات ومنها البحر المتوسط الذي وصل منسوب الماء فيه إلي مستوي وادي البوسفور، فاندفع منه الماء المالح بتدفق شديد ليغمر موقع البحر الأسود، وكان بحيرة عذبة الماء، محاطة بالمروج والمزارع الخضراء العامرة بالسكان فدمر الطوفان كل ما اعترض طريقه من منشآت وأحياء).

ذلك الطوفان المهول كما ترون لم يؤثر في شيء على وسط أفريقا وغاباتها ولا على وسط آسيا وغاباتها بأي شكل من الأشكال.. ولا على باقي قارات العالم بالطبع.

والآن: هل الغبي والجاهل فعلا هو من يصدق قصة سفينة نوح، أم من يسخر منها؟

وفي نهاية هذا المقطع، يلتقي بين ستاين بأكبر دعاة التطور والإلحاد في هذا العصر: ريتشارد دوكينز، الذي يقول في كتابه "وهم الإله":

"إن الإله في العهد القديم هو الشخص الأكثر بشاعة.. إله غيور وفخور بذلك، ظالم تافه، ينزو للسيطرة، عديم الرحمة، متعطش للدماء حقود، مطهّر عرقي، كاره للنساء، عنصري، إبادي، مؤذي، مصاب بجنون العظمة والسادية، شرس، حقود."

والحقيقة المدهشة، أننا لا نختلف مع دوكينز في شيء من هذا كله!!.. بل ونضيف إليه: إن صورة الإله في التوراة المحرفة هي صورة إله وثني من آلهة الحرب، يتعب ويحتاج إلى الراحة، بخيل ويده مغلولة، محابي ومجامل، ويتحداه عباده ويتحايلون عليه فيغلبونه، ولا يجيد اختيار أنبياء صالحين لحمل رسالته إلى البشرية، فهم ــ كما تصورهم التوراة المحرفة ــ سكارى زناة بل ويزنون بمحارمهم!!

لقد حرف اليهود التوارة، وزجوا فيها خرافات كثيرة من أساطير الشعوب التي عاشوا بينها كالفراعنة والفينيقيين والأشوريين والبابليين، لهذا لا عجب أن يدعي بعض الحمقي كسيد القمني وزاهي حواس وغيرهما أن اليهودية هي مجرد تطور للديانات الوثنية القديمة، بينما في الحقيقة أنها رسالة سماوية سامية، لكن أتباعها حرفوها ليملأوها بخرافات الوثنيين من حولهم!

من المؤسف فعلا، أن تكون التوراة والإنجيل المحرفين حائلا أمام علماء الغرب، يصدهم عن الإيمان بالله تعالى، فلا يمكن بحال أن يقبل تناقضاتهما عالِم!.. لعل هذا يجعلنا نفهم رعب الوسط العلمي الغربي من عودة سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية والعلمية، فلم ينسَ أحد كيف حاكمت الكنيسة الغربية جاليليو وكوبرنيكس وكل عالم أتى باكتشاف أو نظرية تخالف معتقدات الكنيسة، مما كان السبب في اشتعال الثورات العلمانية في الغرب.

لكن يظل كل هذا غير كاف لتبرير التعصب المضاد من الوسط العلمي ضد كل نظرية جديدة ترفض نظرية التطور، ولا يبرر تقديم أنصار التصميم الذكي إلى محاكم التفتيش الدستورية في القرن الحادي والعشرين!!

نحن نفهم سبب استماتة العلماء والساسة في الدفاع عن نظرية داروين من منظور رعبهم من عودة السلطة الكنسية وسيادة المعتقدات الباطلة وغير المنطقية على الوسط العلمي والحياة العامة.. لكن هذا لا يمنحهم الحق في قمع النظريات العلمية الجادة.

تريدون رأيي: هؤلاء الناس يحتاجون إلى أن يتعرفوا على الإسلام بشكل أفضل، لكي يعلموا علم اليقين أنه لا يوجد أي تعارض بين العلم والعقل والمنطق والدين.

أخيرا: هذا هو رابط هذا المقطع:

http://www.mediafire.com/?el2n3hhi0063638

أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=w__xkCDma9o

وقتا ممتعا.

مطرودون : لا يُسمح بالذكاء!

Expelled: No intelligence allowed

المقطع العاشر والأخير

هذا هو المقطع الأخير من هذا الفيلم الشيق.. في هذا المقطع يتجلى الدهاء اليهودي في أوضح صوره، حيث ينجح بين ستاين في دفع ريتشارد دوكينز كبير مؤيدي الإلحاد والداروينية، إلى الإدلاء باعتراف يعد قنبلة بكل المقاييس، حيث يقر دوكينز باحتمال حدوث التصميم الذكي، وأن من الممكن أن يكتشف علم الكيمياء الحيوية والأحياء الجزيئية توقيع ذلك المصمم الذكي في الخلايا الحية!.. لكن هذا المصمم من وجهة نظره لن يخرج عن كونه كائنات فضائية تطورت داروينيا في كوكب بعيد، إلى أن وصلت إلى درجة من العلم مكنتها من تصميم الخلية الحية، وبذرها في أرضنا!!

هنا يجب أن نطرح سؤالا هاما: إذا كان دوكينز يقر بمنطقية نظرية التصميم الذكي.. فلماذا يحاربها إذن، ويتهمها بأنها مبنية على خرافات وأكاذيب؟.. ولماذا يتم طرد كل من يبحث في فرضيات هذه النظرية من الأوساط العلمية والصحفية، ما دامت احتمالا قائما؟

ألا يؤكد هذا مدى إصرارهم على الكفر والإلحاد؟

فلا غضاضة لدى دوكينز في أن تخلقه كائنات فضائية ليحل مشكلة أصل الحياة الذي يعترف بأنه لا يعرفه حتى الآن، هو وكل العلماء الآخرين، لكنه في نفس الوقت يصر إصرارا غليظا على إنكار وجود أي إله مهما كان!

ثم كيف يجزم دوكينز بكل هذه الثقة أن الكائنات الفضائية (التي لا يعرفها) نشأت في كوكبها (الذي لا يعرفه) بالتطور الداروينى؟

أليس هذا نوعا من الإيمان الغيبي، الذي يجعل الداروينية دينا لا علما؟!!!
لاحظوا أن العلم يبحث في تفسير الظواهر المعروفة، لكنه لا يستطيع نفي ما خفي عنا من الظواهر.. علم القرون السابقة مثلا لم يكن كافيا لاكتشاف البكتريا والفيروسات، لكن هذا ليس معناه أنها لم تكن موجودة، ونحن نعرف اليوم على وجه اليقين أنها موجودة، ونراها تحت المجهر، وتقوم عليها صناعات دوائية وحيوية كثيرة!
إذن، فليس من صلاحية أي عالم أن ينفي مستقبلا وجود ما لم يكتشفه العلم اليوم.. العلم يقول إننا لم نتعامل مع الجن والملائكة في المختبر بعد، لكن العلم يعجز تماما عن الجزم بأن الجن والملائكة غير موجودة!
وبالتالي: فإن إصرار دوكينز ومن هم على شاكلته على عدم وجود إله، هو أمر عاطفي ونفسي بحت، نتيجة عدم اقتناعهم بالكتب اليهودية والمسيحية المحرفة، أو بسبب كراهيتهم لبعض ممارسات المتدينين في مجتمعهم، أو بسبب كراهيتهم للقيود التي يفرضها عليهم الدين (وهي في صالحهم حتما).. ولا علاقة لأي من هذه الأسباب بالعلم أو أنبوبة الاختبار أو المعادلات الرياضية!
من المدهش فعلا أن يتكلم هؤلاء الناس بكل هذا الصلف في غيبيات لا يعلمون عنها شيئا، وكأنهم وصلوا إلى إدراك كل كبيرة وصغيرة في هذا الكون الشاسع، أو كأنهم نجحوا حتى في سبر أغوار المحيطات التي تغطي كوكبنا!
إن كم المجاهيل التي ما زالت تقف في وجه علومنا الناقصة، أكثر بكثير من الإجابات التي توصلنا إليها.. وعلى دوكينز ومن شاكله أن يكونوا أكثر تواضعا ليستحقوا فعلا أن يلقبوا بالعلماء!

هذا هو رابط هذا المقطع:
http://www.mediafire.com/?sjdmg93lxi1rh2m
أو يمكنكم مشاهدته مباشرة على يوتيوب:
http://www.youtube.com/watch?v=Y04PMpQ9RRE

وهذه مواد ذات صلة أرجوا منكم الاطلاع عليها، لتكتمل رؤيتكم لكل جوانب هذه القضية:

١- الفيلم الوثائقي المدبلج: انهيار نظرية التطور
وهو واحد من مجموعة الأفلام التي أنتجها هارون يحيى.. وكلها أفلام تتأمل في معجزات الله في مخلوقاته.. تجدونها جميعا على هذا الرابط.

٢- كتاب التصميم في الطبيعة.
وهو واحد من مجموعة كتب هارون يحيى، ويمكنكم الحصول على أكثر من ٦٠ كتابا آخر من كتبه من هذا الرابط.

وفي الختام: أسأل الله أن يهديني وإياكم إلى سواء السبيل.. وأرجو ألا تنسوني من صالح دعائكم.

م. محمد حمدي غانم
٢٠١٠/٩/٢٦